الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

جماليات الخطاب الشعري عند ابن شكيل الأندلسي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي قديم

إعدادالطالبة:
نعيمي كحلة

إشراف:
أ. د. حمودي محمد

السنة الجامعية: 2023 _ 2024

Scanné avec CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلله الله بالرضا والرحمة ، إلى من علمني العطاء دون انتظار ، إلى كل من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يسكنه فسيح جناته وستبقى كلماته نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان إلى بسمة الحياة أمي والحبيبة التي بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها.

إلى كل عائلتي الكريمة خاصة إخوتي وإلى كل من ساندني ولو بابتسامة في إنجاز هذا العمل المتواضع

كما لا يفوتني أن أشكر زوجي الغالي الذي ساندني وكان معين لي في هذا العمل وإلى أبنائي.

كما اتقد بأسمى عبارات الشكر والامتنان للدكتور " حمودي محمد " الذي تكرم بالإشراف على عملنا ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة وجازاه الله كل خير.

مقدمـــــــــة

مقدمة:

يعد الشعر أداة ووسيلة لتعبير الشاعر عن واقعه المعاصر بل من أصدق الأدوات في نقل بعض الأحداث التاريخية في بعض الأحيان، فالأدب بصفة عامة ماض باق، والشعر بصفة خاصة بوطقة تنصهر فيها جوانب متعددة بدايتها الواقع ونهايتها الإبداع.

والشعر الأندلسي خير دليل على ذلك، فقد حوى العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن جوانبه الفنية الراقية التي اشتقت ألفاظها من الطبيعة الخلابة المحيطة بالشعراء، فتأثروا بها ونقلوها في شعرهم، فحولوها إلى رموز مكتوبة تحوي ألحانا عذبة تجول الأجواء فتمنحها عبق الفن و جمال الألوان.

ومن أبرز هؤلاء الشعراء الشاعر (أبي العباس أحمد بن شكيل) شاعر أطفأت يد المنون شمعة شبابه و لمّا يبلغ الثلاثين من عمره، غير أن الناظر إلى شعره يجده شاعراً كبيراً استطاع في سنين عمره القليلة أن يقدم لنا شعراً جزل الألفاظ رائق المعاني جميل الصور.

فقد وظف شعره وسخر كلماته ليعبر عن الواقع المحيط به، فيمدح تارة و يرثي تارة أخرى، في أغلب ديوانه الذي وصلنا على هيئة تحقيق قامت بتحقيقه الباحثة "حياة قارة" وهي المتخصصة في المخطوط الأندلسي والمغربي بالأخص.

فكان عنوان بحثنا " **جماليات الخطاب الشعري عند ابن شكيل الأندلسي** "

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع، وقبل كل شيء هو اقتراح من أستاذنا المشرف، ورغبة منا من دراسة أحد شعراء الشعر الأندلسي لمكانته العالية التي نالها في تاريخ الأدب العربي، وهو أحد أعظم شعراء الأندلس وأكثر فحولة.

وإذا استدعى الأمر الحديث عن منهج البحث فقد توسلنا المنهج التاريخي في تتبع واستقراء حياة الشاعر وشخصيته، وأثر ذلك على شعره، كما توسلنا المنهج الأسلوبي في معالجتنا أسلوب الإنزياح والبنية الإيقاعية في شعر ابن شكيل.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، مدخل وفصلين، فكان الأول نظريا وأما الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي مع خاتمة، حيث كان المدخل الباب الذي نلج من خلاله إلى حياة الشاعر وشعره وشخصيته الأدبية والعلمية.

أما الفصل الأول فتناولنا موضوعات ابن شكيل الأندلسي التي طرحها في ديوانه بالتفصيل.

أما في الفصل الثاني فكان عنوانه "شعر ابن شكيل مقاربة أسلوبية "بدراستنا للإنزياح التركيبي والبنية الإيقاعية، ثم شفعنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستنا، وقد اعتمدنا في مذكرتنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها ديوان الشاعر تقديم وتحقيق حياة قارة.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذه المذكرة فتكمن في قلة المصادر والمراجع ،فيما يخص الأعمال النقدية التي تناولت دراسات في شعر ابن شكيل الأندلسي وكذلك ضيق الوقت للبحث والدراسة، لهذا ما أنجزناه يبقى عملا متواضعا لا يزال قابلا للتعديل والتوسع.

وأخيرا نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذنا المشرف " حمودي محمد" على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات التي كانت لنا بمثابة مصباح أنار لنا طريق العمل ونتمنى أن يكون بحثنا مفيداً في المكتبة الجامعية.

و في الأخير اسأل الله التوفيق و السداد، و ما توفيقي إلا به عليه توكلت وإليه أنيب.

مدخـــــل

1-الشاعر وشعره:

شاعرنا هو الأديب والفقيه أبو العباس أحمد بن أبي الحكم يعيش بن علي بن شكيل الصدفي بفتح السين المعجمة وكسر الكاف وسكون الياء آخر الحروف وبعدها اللام وهو من أهل شريش أحد شعرائها الفحول مع نزاهة ومروءة سابغة الذيول,ولد شاعرنا سنة 578 هـ في مدّة منصور بني عبد المؤمن وتوفي مغتبطا سنة خمس وستمائة عن سبعة وعشرين عاما.[1]

2- شخصية الشاعر الأدبية والعلمية:

المتأمل في شعر ابن شكيل لا يتصور أنه يقرأ لشاب فتي بل لشاعر من الشعراء المتقدمين في العمر، امتلك شخصية علمية رصينة نهلت من علوم الفقه والأدب ، يمكن القول أن خلق تلك الشخصية عوامل عديدة جعلتها منفردة في أشعارها متميزة في نظمها[2] وأهم تلك العوامل سأجملها بما يأتي :

نشأابن شكيل في مدينة شريش، وقد وصف المقري تلك المدينة بقوله: " ابن واديها .. وهي مدينة جميلة ضخمة الأسواق لأهلها همم و طرق في اللباس وإظهار الرفاهية وتخلق بالآداب ... ولها من الفواكه ما يعم ويفضل"[3] مما كان له بالغ الأثر على شخصية الشاعر ونشأته.

وقد تتلمذ على يد نخبة من مشايخ عصره، ولاسيما أن معظمهم من القضاة كأبي عبد الله بن مقصير البلنسي الذي علمه العربية مشفوعة بصحة الضبط والتوثيق وسلامة التوجيه والإرشاد، وأبي بكر السكوفي، وكان عالماً بالفقه وصناعة الكلام وهو من عائلة علمية " فكان أبوه فقيها محدثا بليغا خطيبا شاعرا."[4]

1-ابن آبار البلنسي، تحفة القادم ،تح احسان عباس ،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط1 ،ج1 ،1986 ،ص271 .

2- ابن شكيل الديوان ، تق ، تح: حياة قارة ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،ط1 ، 1998 ، ص5.

3 - المقري ،نفح الطبيب من غضن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت،مج 1 ، 1900 ،ص18.

4 - الديوان ،ص5.

ولعل سماع ابن شكيل الحديث عن أبي الحسن بن زرقون يعطينا صورة أخرى عن ثقافته وعن البدايات الأولى التي شكلت مخزونه الثقافي ... وأبو الحسين بن زرقون هذا هو صاحب التواليف في الفقه والحديث الذي وصفه الرعيني بقوله " آخر ما كان في اشبيلية متصدر هذا الاسم" [1].

ويطالعنا ابن الآبار برأيه الخاص حول تبصر شيخه ابن الحسين بن زرقون بالحديث فيقول: ولم يكن له بصر بالحديث وكان يعترف بالقصور عنه وعلى ذلك عُني الناس بالسماع عنه، ويستفاد مما تقدم أن ثقافة ابن شكيل تمت على يد رجال انيطت إليهم مهمة خطرة وهي خطة القضاء ، ذلك أن القاضي أعظم الولاة خطرا بعد الإمام الذي جعله الله زماما للدين وقواما للدنيا فكانت ثقافة واسعة التي ساعدته على صقل ذوقه الفني وتعميق مخزونه المعرفي وتفجير طاقاته الإبداعية.[2]

لقد أثرت صحبة الشاعر لأبي حفص السلمي وحبّه الشديد له تأثيراً كبيراً وملازمته المستمرة وتوليته إياه مهمة القضاء ، حيث كان أبو الحفص " أديبا شاعرا مطبوعا كاتبا ،ممتع المجلس،فكه المحادثة جيد الخط ،وغلب عليه الأدب حتى عُرِف به وساهمت هذه العلاقة في رسم صورة مميزة للشخصية الأندلسية المتميزة بالإحساس المرهف والعواطف الجياشة كما ساعدت بشكل كبير على استقرار الشاعر النفسي والعاطفي "[3].

إنّ وجوده في كنف الدولة الموحدية التي توجت الحركةالإصلاحيةالتي انعكس على قراءة النصوص الدينية قراءة جديدة،والاهتمام بالتصوف وهذا ما بدا جليّا في شعره ،فالأديبضمير عصره ومرآة تعكس لنا الواقع الذي يحيط به.[4]

لقد استبدت بشاعرالهموم وتعرض للكثير من المآسي إذ فقد أهل بيته كأخيه وجدّته لأمه وأبيه كما فقد أستاذ هو أباه الروحي" أبا حفص" مما عمق في نفسه شعور الحزن والإحباط والهروب من الحياة الاجتماعية ومآسيها إلى عالم الروح

---

[1] - الرعيني : برنامج شيوخ الرعيني ، تح ابراهيم شبوح ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ،1962، ص31.

[2] - الديوان، ص 7.

3- ينظر: عهود عبد الواحد ،الانساق السياقية عند ابن شكيل الاندلسي ، ص35.

[4]- ينظر: محمد أحمد امين محمد، شعر ابن شكيل الاندلسي، دراسة موضوعية، مجلة الدراسات العربية، كليه دار العلوم، جامعة المنيا ، ع 47 . مج1 ،2023،ص34.

الصوفية وإظهار حبه لله ولدينه وحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته عليهم السلام فصارالشاعرعابراً لعوالم الروح المختلفة متمسكا بنزعته الصوفية هائماً بين حوادث الماضي ،مسقط لها داخل أشعاره بأغراضه المختلفة.[1]

3- ثقافته:

ومما تقدم يمكن القول أن العلوم الدينية التي تلقاها ابن شكيل على يد نخبة من علماء عصره،ساعدته بشكل كبير على تكوين شخصيته ،وأخلاقه وأن " الانتهال من هذا المذهب في هذه المرحلة المبكرة من حياة ابن شكيل ،فضلا عن توليه مهمة القضاء ساعده على ولوج الشعر بروح متميزة، وشخصية لها سماتها المتفردة، واستطاعت أن تجعل من إبداع ابن شكيل إبداعا متميزا بحق عن كل معاصريه.[2]

تأسيسا على ما سبق: يتبين أنّه توافرت لابن شكيل من خلال هذه الظروف العامة والدراسة الجّادة، والتحصيل الأصيل ثقافة واسعة ،ساعدته بشدة على إغناء مخزونه الثقافي والمعرفي وتعميق ذوقه الفني فعُرف عنه أنه:" كان أديبا شاعرا مطبوعا كاتبا، بارعا ممتع المجلس طريف المحادثة ، جيد الخط ، وغلب عليه الأدب حتى عُرف به"[3].

والجدير بالذكر:أنّ فترة المنصور الموحدي ساد فيها المذهب الصوفي بشدة فكان لذلك بالغ الأثر على شاعرنا لذلك " إن أغلب النماذج الشعرية التي نظمت في هذا الباب استطاعت أن تعكس هذه الخلفية الدينية التي سادت مرحلة الموحدين، وهي نماذج تجمع بين التشيع لآل البيت والتصوف "[4].

ضمن هذا المعطى: جاءت قصائده مستلهمة روح العصر، منسجمة مع الجوّ الدّيني العام ،مستنبطة روح القدامى، الذين نظموا في هذا الباب لكنها منفردة في إيقاعها و موسيقاها وكلماتها والقول أنّه تفرد يعكس هذا التلاحم الشديد بين

---

[1]- عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي، ص36.

[2]- الديوان ص 6 .

[3]-ينظر: محمد احمد أمين محمد، شعر ابن شكيل الأندلسي، ص35.

[4]- الديوان ، ص 9 .

هموم شاعرنا الشخصية وطموحاتها الفردية، وبين العالم الخارجي، نعني الواقع العربي الذي كان يرزح تحت نَيْر العدوان المسيحي .[1]

والحق أنّ ابن شكيل لم يستلهم من الوضع الجديد فحسب ،ولكنه أسهم فيه أيضا ،وهذا بالكلمة الفياضة الشاعرة التي شحنها بأنواع من الرموز والدلالات لتنهض بمهمتها في ظل هذه الشروط التاريخية التي كان يتمثلها بكثير من الوعي، استطاع ان يخلق لديه طريقته الخاصة في النظر إلى العالم وفي الإحساس به وتخيله.

ومن هذا الباب إنّ الفترة التاريخية الممتدة { 578 ه -605 م } لها صلة بإشعاره التي خضعت لتأثيرها فقد انصهرت منه السيرورة التاريخية والاجتماعية بوعي ابن شكيل إضافة إلى التجارب الشخصية التي اكتسبها خلالها، فكانت هناك علاقة خاصة ومعقدة بين الذاتي و الموضوعي و قرابة الداخلية بين المباشر والتجريد، ومباشرة المعايشة الأساسية،فهي موجز هذا الماضي الذي عاشه شاعرنا، بل هو تغيير انفجاري عنه[2].

[1]- الديوان، ص 10.

[2]- الديوان، ص 16

الفصل الاول:

موضوعات ابن شكيل الاندلسي

تمهيد:

إنّ المتأمل في شعر ابن شكيل يجده يخضع لمرحلتين هامتين، انصهرت فيهما تجربته الشخصية بأحداث عصره السياسية الاجتماعية ، ووقفت هاتين المرحلتين على حدثين هامين شكلا نظرة ابن شكيل للعالم أولاها: صحبته لابن حفص عمر السلمي و ثانيهما مصائبه في أهله وأصحابه ، فأما الأول منهما ، فقد فجر في نفسه الشخصية الأندلسية المتميزة بالإحساس المرهف والعواطف الجياشة وحب الحياة ومتعها ومباهجها، وقد ساعدته مرحلة الاستقرار النفسي والعاطفي قريحته الشعرية فجاءت بديعة ذات موضوعات متنوعة تعكس بذلك قضايا عصره السياسية والاجتماعية بصورة حافظ فيها ابن تشكيل على الخصائص الذاتية لعمله الإبداعي .

أمّا ثانيهما: فقد عمق كل عواطف الإحباط والحزن والهروب من الحياة الاجتماعية، بل من أسر الجسد إلى معانقة الروح والجوهر، إنّها رؤية صوفية للعالم أبحرت بشاعرنا نحو عوالم جديدة للغة شعرية، واتحدت فيها ذاتية الشاعر المكبلة بعواطف الحزن والأسى والجروح العميقة ،التي ما إنْ تكاد تلتئم حتى تتفتح أمام زرئه أهله واحدا فواحداً، أخاه الأكبر ثم أباه ثم جدّته لأمه ثم أباه الروحي أبا حفص عمر و لا شك في أن تتحد هذه الذات المكلومة مع وقائع العالم الخارجي ،المتمثلة في المد المسيحي الذي يهدد الكيان العربي وأصبح التأكيد على العروبة والإسلام ضروريا في الوقت الراهن.[1]

تضم أعماله الشعرية كلها ستا وعشرين مقطوعة تتوزع ما بين القصيدة الطويلة ، تشارف أبياتها على التسعين بيتا وبين المقطوعة التي لاتتجاوز الأبيات الستة وبين البيتين ، وقد عكس لنا هذا المجموع رؤية ابن شكيل لعالم الخطاب الشعري الذي تشكل من مجموعة من العلاقات ،تربط بين مختلف المقولات النحوية، التي تعكس كفاءة شاعرنا في بناء واقع حسب نماذج صورية متنوعة، ويكفي الوقوف عند هذه الأشعار المتنوعة الأغراض والموضوعات لنلمس بوضوح توظيف ابن شكيل للأسماء والأفعال والفضلة مثلا، وهو توظيف حاول من خلاله أن يخلق نوعا من التوازن- إن صح التعبير- بين القيمة المرجعية

[1] - الديوان ، ص17.16.

والمعرفية لهذه الأشعار وبين مستويات اللغة المتنوعة تركيبية وصوتية ومعجمية و بلاغية .[1] وأول هذه الأغراض:

1- المدح

إنّ قصائد المدح لدى الشاعر تشهد له بالقدرة الشعرية الطويلة النفس أو بمراعاة مقتضى الحال والتوظيف الدلالي لعلاقة الصوت بالمعنى، ورسمه الصور المتحركة التي اعتمدت التشخيص والصور الحسية كالصور البصرية ، ومنها اللونية والصور السمعية الذوقية، متعانقة مع أسلوب المبالغة وحسن التعليل والتناص الذي برع في أغراضه جميعا مما يدل على فهم ثاقب وثقافة واعية للنماذج الأدبية الراقية .[2]

ومن خلال قراءتك للديوان تجد أن الشاعر قد سار على نهج سابقيه من الشعراء الذي سجلوا بشعرهم ما يجري حولهم من أحداث، فهم في الأخير شعراء الدولة الرسميين الذين سجلوا أعمالها وبطولاتها ومعاركها . [3]

فيقول الشاعرمادحا أبوإسحاق إبراهيم ابن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي:[4]

هَذَا الّذي جِيدَت الدُّنيا بنـــائِلِهِ وأَوْرَاقَ الصَّخْرِ مِنْ جَدْوَاهُ إيرَاقَـــا

هَذَا الّذي أمِنَ الفجُّ العَمِيقِ بـــهِ وَطَيَّرَ الرومَ والصُّلْبَان إشْفـَاقًـــــا

هذا الذي هَجَر الأوطانَ مُحْتَسِبًا في طاعة الله يُفْنِى العُمْر إنْفَاقًـــــا

يَا فَرْحَةَ الثّغْرِ بِالمُلْكِ المُؤَيَّدِ بَلْ يا فرحةَ الدِّين والدُّنْيا بِإسْحَاقـــــا

استخدام الشاعر وتكراره لاسم الإشارة هذا لعنايته بممدوحه عمن سواه ويسترجع الشاعر أمجاد معركة الآرك العظيمة التي قادها المنصور الموحدي عام 591 هـــ قائلا:[5]

---

[1] - الديوان، ص20، 21.

[2] - عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي، ص36.

[3] - -فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 ،2007 ، -

[4] - الديوان، ص69.

[5] - الديوان، ص69.

لَّمَا تَجَلَّى رَأَتْهُ عَيْنُ طَاعَتِـــنَـــا جَمْرًا فَأَعْضَاؤُنَا قَدْ صِرْنَ أَحْدَاقَا

لَكِنَّمَا مُقْلَةُ الإِذْفُنْشِ قَدْ شَخَصَتْ فَمَا تُدِيرُ من الإِطْرَاقِ حِمْلَاقَـــا

فِي قَلْبِهِ مِنْكَ نِيرَانُ مُسَعَّـــــرَةٌ تُفْنِي الجَوَانِحَ إِلْهَـــابًا وإِحْرَاقَـــا

ويمضي ابن شكيل في قصيدة أخرى فيصوّر المجهود والدماء المبذولة من قبل الموحدين لمواجهة الروم فيقول: [1]

قُلْ لِلْمَطِيِّ تَجَلَّدِي لاَبُـــــــدَّ منْ صِنْوِ الخَلِيفَةِ فَاقْعُدِي أَوْ قُومِـــي

سِيرِي عَلَى اِسْم الله فِي أَمَلي فَقَـــدْ ضَمِنَ المَطَالِب جُودُ ابْراهيـــمِ

سِيرِي إلى مَلْكِ رَضًى فِي مَالِـــهِ حَقٌّ لِسَـــــــائِلِه وَللمَحْـــــرُومِ

2 _ الرثاء:

لقد امتاز الرثاء الأندلسي بالنظرة التأملية في حقيقة الموت والحياة وكان قد "جرى الشعراء الأندلسيون في رثائهم على سنة المشارقة."[2]

لذا كان يبدأ الشعراء بالمقدمات التي تحوي في كنفها تلك النظرات التأملية، وبعد هذه المقدمات نجد الشعراء ينتقلون إلى ذكر مآثر الميت ومكانته الاجتماعية ، ثم يعزون أنفسهم ويحثونهم على الصبر والسلوان، تأسيسا في ذلك "أسلف فيما عُرف من فجائع الدنيا يتأسى بذلك ولي الهالك ، وقد يختمون مراسيمهم بالدعاء للميت والترحم عليه."[3]

وعليه نستشف من رثائيات الشاعر حكمة عظيمة و رغبته في الوعظ والإرشاد ،وتوظيفه للقضاء وفهمه لفلسفة الموت والحياة، متأثرا بمن سبقه من الشعراء، والناظر لأشعاره يشعر أنّه أمام فليسوف حنكته التجارب واختبرته السنون، وليس أمام شاب في عنفوان شبابه لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، إن اللغة تتجاورعالم التخيل الذي يتكون منه عالمها الشعري لنتحرك

[1]- الديوان، ص76.

[2]- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي، ص 166.

[3]-المصدر نفسه،ص166.

داخل الواقع وفي هذا المستوى يقف الخطاب الشعري عند وصف الأشياء كما هي في حدودها الواقعية.

وفي هذا يقول ابن شكيل في رثاءه لوالده أبي الحكم الذي مات في شوال ستة ثلاث وستمائة رحمة الله عليه: [1]

حَذَارِ حَذَارِ مِنْ رُكُونِ إِلَى الزَّمَنِ فَمَنْ ذَا الّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ وَمَنْ وَ مَنْ

أَلَمْ تَرَ لِلْأَحْدَاثِ أَقْبَلَهَا المُنَى وَأَقْتَلَهَا مَا عَرَّضَ المَرْءَ لِلْفِتَـــــنْ

تُسَرُّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا هُوَ ذَاهِبُ ويَبْكِي عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ

أَرَى دَارَنَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَة أَرَدْنَا نَوَاءً عِنْدَهَا وَهِيَ فِي ظَعْنْ

فَكَمْ سَكَنَ الدُنْيَا مُلُوكٌ أعِزَةٌ تَفَانَوْا فَلَمْ تَسْتَبْقِ مِنْهم لَهَا سَكَـنْ

ويقول الشاعر في رثاءه لجدته:[2]

آدارَ البِلَى أَمَا عَمَرْتِ بِمَعْشَرِي فَأنتِ الّذي تُدْعَيْنَ قَفْرًا وبَلْقَعَا

عَلى كُثْرَةِ الأَهْلِينَ أوْحَشْتِ زَائِرًا وألْهَبْتِ أكْبَاداً وأجْرَيْتِ مَدْمَعَا

إِلَيْكِ مَآبُ الكُـــــــلِّ مِنْهُمْ مُلْبث قَليلًا، وَمِنهُمْ مَنْ تَوَلَّى ووَدَّعَا

وفي رثاء أخيه أبي الحسن، رحمه الله وذلك في شوال من سنة اثنين وستمائة:[3]

رِضَى بِقَضَاءِ الله فَهُو مُصِيبُ وَصَبْرًا عَلى الأَحْدَاثِ فَهِي تَنُوبُ

خَلِيليَّ قَدْ وَارَى التُرَابُ أَحِبَّتِي فَلَمْ يَبْقَ لِي فَوْق التُّرَابِ حَبِيـــبُ

أقِلاَ وُقُوفًا بِالمَنَازِلِ أَوْقِـــفَـــا فَإِنَّ الّذِي تَسْتَبْعِدَانِ قَـــــرِيـــبُ

[1]- الديوان ص 81.

[2]- الديوان ص ،61 .

[3] - الديوان، ص35.

والجدير بالذكر أنّ استخدام هذا اللون من الفنون الشعرية أدى إلى انبثاق ظاهرة جديدة وهي الوقوف في القبور وكانت منتشرة آنذاك . يقول الشاعر:[1]

لِعُمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ حَيًّا و هَالِكًا لِذَائِقِه الفَخْرُ العَظِـيمُ بِمَنْ دَفَـــنَ

فَبُورِكَ مِن قبْرٍ وُطُهِرَ مِنْ ثَرَى وَقُدِّسَ مِنْ رُوحٍ وَعُوفِي مِنْ بَدَنِ

3- التصوف:

يمثل شعر ابن شكيل الصوفي الصورة المثلى التي يتحد فيها الداخل والخارج في وحدة صوفية تجد خلاصها في الحب الإلهي المقدس: [2]

وَلَوْ أنَّ قَلْبِي فِي يَدَيّ بِلَا هَـــوَى لَجُنَّ فَمَا ظَنِّي بِهِ و هُوَ الحَشْو

ومَا سَرَّنِي أَنْ أَمْلِكَ الأرْضَ كُلَّهَا وَأَنَ فُؤَادِي منْ مَحَبَتِه خِلْـــوُ

وإنَنَا أمَام فلسفة جديدة في التعامل مع الحياة رؤيا جديدة يتجلى في رياضة الروح ، وذوبانها في هذا الحب الإلهي، ونبع قوة هذا الذوبان والاتحاد الصوفي ينسى الجسد نفسه: [3]

حَدَثَنِي الشَّوْقُ عَلَى تَبَارِيحي أنَّ ضَنَى الجِسْمِ صَيْقَلُ الرُّوحِ

وأَنَّ صُفْرَ الوُجُوهِ مُسْـــفِرَةٌ تُشْرِقُ فَي اللَّيْلِ كالمَصَابيـــحِ

وأَنَّ رُوحُ الإلـــــه مُطَلِـــع على المُحِبّينَ في التَّرَاويـــحِ.

4- الزهد :

إنَّ زهد ابن شكيل في الحياة وهروبه من مباهجها وعزوفه عن جني ثمارتها في هذه المرحلة من حياته لا تمثله هذه القصائد التي قالها في الحب الإلهي فحسب، وإنما تخص أيضا القصائد التي قالها في التشوق إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في التشيع لآل البيت بل الدفاع عنهم وتفضيلهم وتقديمهم على من سواهم.

[1] - الديوان، ص83.
[2] - الديوان،ص25.
[3] - الديوان،ص 26 .

وفي هذا السياق يقول ابن شكيل: [1]

عَادَيْتُ في الله قَوْمًا أنْكَرُوا رَصَداً للدِّينِ تطْهيرَ أهْل البَيْتِ ذِي الحُجُبِ

يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِي المُصْطَفَى حَرَبِي مِمَّنْ يخْفِّض منْ أقْدَارِكُمْ حَرَبِـــي

منْ لَمْ يَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ كُلُهُـــمْ أنْتم، فقدْ سَدَّ بَابَ الصِدْقِ بِالكَـــذِبِ

وقال أيضا : [2]

عَمْرِي لَقَدْ جَارَ الضَّلَال على الهُدَى بِالطَّفِّ في قتلِ الحُسين وطفَّقَا

يا لَيْتَ شِعْري كيف كان على العَصَا رَأْسُ الحُسَيْنِ ونُورُهُ كَيْفَ إنْطَفَاَ.

5-الهجاء:

من الغريب أن يكون للهجاء في الشعر الموحدي، ولاسيما أن الدولة الموحدية قامت على أسس دينية فكان من الطبيعي أن تستذكر شعر الهجاء ، إلا أن هذا اللون وإن كان له وجود، فهو لم يحظ باهتمام الشعراء كثيرا وربما يرجع ذلك إلى عدم وجود دوافع مساعدة لذلك الشعر فإن معظم الشعراء صبوا جلّ اهتمامهم على شعر المدح والرثاء وغير ذلك من الألوان الشعرية التي كانت تستخدم لدعم و نشر وتعميم أفكار الدراسة وسياستها الخارجية والداخلية.[3]

وعليه ما وصلنا من شعر الهجاء لدى ابن شكيل قليل جدا لا يتجاوز الأبيات القلائل أو المقطوعات القصيرة ، وربما يرجع ذلك إلى نزعة الشاعر الدينية والأخلاقية التي سيطرت على أفكاره وكتاباته .

يقول ابن شكيل في هجاء "أبي قصبة الخارج" الذي شاع أمره وسرى شره فتحرك الناصر ابن رجراجة (434 هـ) ونظر في أمره وأنقذ عسكرا برسمه فأخذه الله يسري مكره فهزم عسكره و في هذا يقول ابن شكيل:[4]

---

[1] - الديوان ، ص26 .

[2]- الديوان ،ص 27.

[3]- ينظر: محمد احمد أنيس محمد، شعر شكيل الأندلسي ص 41.

[4]- الديوان ص 33.

الله أطْفَأ ما أذْكَى أَبُو قَصَبه مِنْ حَرْبِه وأزَالَ السِّحْرَ بالغَلَبَـــه

أمْرُ الخَليفَةِ وافَاهُ علىَ عَجَلٍ يَدْعُوهُ للْحَقِّ لِمَا اغْتَرَّهُ كَـــذِبَـــه

فَمَنْ أَرَاَد سُؤَالًا عَنْ قَضِيَتِهِ فَجُمْلَةُ الأَمْرِ أَنَّ الحَقَ قَدْ غَـــلَبـــَه

لَقَدْ شَفَّ النَفْسَ أَنَ وَافَى بِهَامَتِهِ صَدْرَ القَنَاةِ مَكَان الصَّدْرِ والـرَّقَبَـــة

لَمَّا اسْتمرَّ جِمَاحًا فِي ضَلَالَتِه عَادَتْ عَلَيْه لِجَامَا تِلْكُمُ القَـــصَبـــِة

وتعد هذه المقطوعة السابقة الوحيدة بديوان ابن شكيل التي تحوي معاني الهجاء، أو ربما يرجع قله استخدام ابن شكيل للهجاء كما أشرنا سابقا إلى النزعة الأخلاقية والدينية لدى الشاعر إلا أن هجاءه جاء في هيئة المدح لمن قام بقتال المهجو، فحول قصيدته إلى مدح لمن ينصر الدين وغزل في صفاته وإنزاله منزلة مقيم لواء الدين و الشق الثاني الحط من قيمة هؤلاء الجفاة الذين لا يرعون تقديس الله لآل البيت وتطهيره لهم. [1]

6- الوصف:

يعد الوصف من الأغراض الشعرية التي برع فيها الأندلسيون حتى أنّهم فاقوا المشارقة في بعضها ، تُوصف الطبيعة والمدن والحضارة العمرانية كما أثرت الظروف السياسية والاجتماعية والبيئية السائدة آنذاك على شعر الوصف بشكل كبير، فدفعه إلى الإكثار من تناول الموضوعات أكثر من غيره ، فظروف الطبيعة بجمالها الساحر والأخاذ رفع الشاعر إلى الإكثار من وصفها ووصف جمال العمران، كما أن الظروف الاجتماعية تركت أثرا واضحا في شعرهم.

كان للتنوع أثرا كبيراً في أصول المجتمع، فضلا عن الحرية التي منحت للشعراء، التي أدت إلى التنويع في وصف مظاهر الحياة الاجتماعية وكتابة الشعر ومن مميزات شعر الوصف الأندلسي إضفاء الحياة على الجمادات والأمور المعنوية و إعطائها صفة الإنسان الحي، ومخاطبتها كمخاطبة شخص ما ويسمى هذا " بالتشخيص".

[1] - ينظر: محمد أحمد أمين محمد، شعر شكيل الأندلسي، ص 42.

ويقول ابن شكيل في وصف حمام :[1]

تُلْهِي العُيُونَ رُقُومُه فَكَأَنَّها قَدْ أَلْبَسَتْ سَاحَاتُـــه دِيبَاجَـــــا

مَجْمُوعَة أَضْدَادِه فَتَرَى بِهَا نَارَ الغَضَا والوَابِلُ الثَّجَّـــاجَـا

حَرَّانُ مُنْسَكِبُ الدُّمُوعِ كَأَنَّمَا يَحْكِي بِذَاكَ العَاشِقَ المُهْتَاجَـــا

ويستخدم الشاعر وصف المعارك ليعبر بها على شجاعة ممدوحه: [2]

عقَر المَطِيَّة للعَذَارَى رَبُهَا فَأَبِيحَ ثَغْرًا مِنْ عُنيـزة أَوْمَسَـــا

لَمْ يَنْسَ مَيِتًا بِالكُلَابِ و رُبَّمَا قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا أَنْ يَفُوهَ فَيُلْبِـــسَا

ونَسيْتُ حُجْرًا يَوْمَ هَيَّجَ بِالعَصَا أَسَدًا مَنْ هاج الأُسُودَ تفَرَّسَـــا

هَبَطَتْ كَوَاهِلُ مُلْكِه مِنْ كَاهِلِ أَبَدًا أَصَابَتْ مِنْه يَوْمًا أَنْحَسَـــا

7- ظاهرة التشيّع:

إنّ تأثر ابن شكيل ببعض الصور التي درج على توظيفها شعراء هذه المرحلة ناهيك عن إحساسه العميق بهذا الجو العام ،الذي كان يتنفس منه، جوّ الصراع بين مقوّمات الشخصية العربية الإسلامية، والمدّ المسيحي يجعلنا نعمد أنّ توضيح فكرة التشيّع في أشعار ابن شكيل ، فنقول أنّ أشعاره جاءت في سياق الزهد و التصوف باعتبار أنّ التشيّع شارك في تشكيل الزهد بأشكاله المتطورة التي أدّت إلى التصوف.

لذلك جاء شاعرنا ينظر إلى آل البيت من هذه الزاوية الروحية، زاوية القداسة ولم يكن شعره نابعا من فكرة التشيّع ،التي تعنى الايجابية المطلقة وإنّما يسري بموازاة التصوف بتبني الزهد الشديد الذي تميل فيه النفس إلى ما دعا الله سبحانه و تعالى إليه والانقطاع إلى خدمته بنسيان ما يقع به طباعها، و تفسدها استراحة النفس، وميلها إلى رخص الفقهاء .[3]

[1] - الديوان، ص45.

[2] - الديوان، ص 58.

[3] - الديوان، ص 27 .

و لعل ما نظمه ابن شكيل في هذا الإطار يشهد له بذلك، بل لعل قصيدته العصماء التي قالها في رثاء الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- خير دليل على هذا الاتصال الرقيق بين التشييع و التصوف:[1]

أَحَقُ مَا كَانَ مِنْ قَلْـــبِي تَبَارِيـــحُ فَلْيُهْنئ العَيْنَ إنَّ الدَمْعَ مَسْفــُوحُ

يَا عَيْنُ جُودِي عَلى قتْلِ الحُسَيْنِ دَمًا وَابْكِي جِهَارًا فَإنَّ الوَجْدَ تَصْرِيحُ

إنّه رثاء يذكرنا بالقصائد الرثائية الكثيرة التي دبّجها الأندلسيون في التشيع، وهو على العموم متأثر بهذا الجو الدّيني الذي كان يسود الأندلس في العهدين المرابطي والموحدي.

[1]- الديوان ،ص 28.

الفصل الثاني:

شعر ابن شكيل مقاربة أسلوبية

تمهيد:

يمتاز الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات بكثير من المميزات التي تكفل له ماهية خاصة و تمنحه نوعا من الاستقلالية التي تجعل من تحديده و تمييزه عملية سهلة لا تعقيد فيها، لوصفه خطابا إبداعياً يتخذ من طريقة التعبير وجمالية الأسلوب ركناً لا يمكن أن يتنازل عنه، كما يعتمد هذا النوع من الخطاب عن غيره من الخطابات الإنسانية ، و تعد ظاهرة الانزياح أبرز خصائص الخطاب الأدبي، وسمة من أهم سماته التي يجب على المبدع التنبيه إليها، بوصفها تقنية من التقنيات التي تمنح العمل الأدبي هويته المتميزة.

ومصطلح الانزياح من المصطلحات الحديثة، ومن أهم الظواهر التي تقوم على الدراسات الأسلوبية الحديثة، فهو ظاهرة شعرية تحكم على الكتابات الإبداعية القائمة على تحويل المخزون اللغوي إلى فضاءات شعرية غائرة في المتاهة والمجهول, وفي هذا الصّدد نحاول أن نلقي الضوء على هذه الظاهرة في شعر ابن شكيل من خلال مقاربة أسلوبية.

مفهوم الانزياح:

في اللغة :" نزح ، نزحاً ونزوحاً ، بَعُدَ ، يُقَالُ نَزَحَتْ البئر، قَلَّ مَاؤُها أو نَفَذَ

ونَزَحَ انزاح ، بَعُد وأبْعَدَ أو ابْتَعَدَ، نزحت الدار فهي تنزح نزوحاً إذا بعدت ، وقد نزح بفلان إذا بعد عن دياره غيبةٍ بعيدةٍ."[1]

وقال الزمخشري:" من كانت أمواله متنازعة كانت أحواله متنازعة يقال جاء من بلد نزيح."[2]

وجاء في معجم العين : " نزح ، نزحت الدار، تنزح نزوحاً ، أي بَعُدَتْ ووصل ونازح أي بَعِيد , قال أم نازح الوصول مخلاف لشيمته " [3]

[1] - ابن منظور, لسان العرب ، مج 14 ، ص 231 .232 .

[2] - أبو القاسم الزمخشري, أساس البلاغة، ،دار صادر بيروت ، ج2 ,ص 630.

[3] - خليل الفراهيدي ، معجم العين ،دار الكتب العلمية بيروت،2003ج4،ط1،ص210.

أمّا الانزياح في الاصطلاح : فهو باب من أبواب الأسلوبية التي تفيد الدّارس في الأدب وتحليل النصوص " إنهاستعمال المبدع للغة ومفردات و تراكيب وصور يتصف به من تفرد و إبداع وقوة وجَذْبٍ"[1]، " وبذلك يخرج عن النسق اللغوي المألوف من قواعد نحوية ولغوية إلى نسق آخر تظهر من خلاله القيمة الجمالية والفنية للغة، فاختراق هذا النظام ينتج لنا انزياحاً هو ما يكسب النص الشعري جماليته و روعته". [2]

فالانزياح في الشعر: هو خروج الكلام عن النسق اللغوي المعروض في المفردات والتراكيب والصور والإيقاع ، ويهدف من خلاله الشاعر إلى جذب المتلقي وشدّ انتباهه بواسطة لغة فنية عالية، ويشترط في الخروج على النمط السائد أثناء الانزياح" أن يكون ناجما عن قصدية المبدع لا نتيجة جهل بالتقنيات الكتابية وإلا عدّ مظهر ضعف بدلا من كونه مظهر قوة"،وبذلك يظهر أنّ الانزياح ظاهرة أسلوبية يعنى بها النقد الأندلسي الحديث ، وهو من أهم الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب الشعري عن غيره، حيث أنّ له تأثيرات فنية جمالية, وبُعدًا إيحائيا بديعا على المتلقي.[3]

وتأتى أهمية الانزياح في كونه تقنية فنية يستخدمها الشعراء للتعبير عن تجربتهم الشعورية ، وله إضافة إلى كونه عامل تميز للخطاب الشعري، دور جماليٌّ يسهم في لفت انتباه القارئ ، و من ثمة التأثير فيه، وإيصاله إلى الإمتاع واللذة ، وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب.

ينضاف إلى ذلك: أنّ وظيفة الانزياح تكمن في مفاجأة المتلقي وجذب انتباهه من خلال بعض الأساليب والتقنيات الفنية، وهذا ما يميز اللغة الأدبية من اللغة العادية.[4]

---

[1] - عصام قصبجي وأحمد محمد ويس، وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ,مجملة بحوث جامعة حلب, سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية،ع28، 1995، ص39 .

2 - ينظر محمد ع المطلب : البلاغة والأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون،، مصر، ط 1 ،594،ص 268.

[3] - المصدر نفسه،ص268 .

-ينظر: عبد الرحمن بن أحمد السبت ،ظاهرة الإنزياح في شعر البارودي ،ص 66 .[4]

ومن خلال ما تقدم من إيضاح حول مصطلح الانزياح ، فإنَّ الانزياح قد واكب ظهوره بزوغ حركات التجديد في الشعر العربي، وما أحاط به من دراسات نقدية حديثة، إلا أنه كفكرة ضارب في تاريخالنقد العربي القديم.

من أنواع الانزياح :

I. **الانزياح التركيبي:** المقصود به" الانحرافات التركيبية التي تتصل

بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية، عندما تخرج على قواعد النظم والتراكيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات." [1]

وعليه فهو انزياح يتعلق بالأساليب والتراكيب وخروجه عن المألوف اللفظي المعتاد " وخضع فيه العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب لسلطة الطبيعة الخطية للغة التي تسير وفقها القوانين وتعتمد الإجراء التأليفي بين العناصر

المتتالية. هذا التعاقب أو التوالي اللفظي يطلق عليه محور التركيب إذ الخروج عنه يسمى انزياحا تركيبيا" . [2]

فالشعر له لغته الخاصة المميزة التي تبتكر نظاما بديعاً يتجاوز النمط المألوف في الكلام ، وتخترق استعمالاته العاديةو تتمثل مظاهر الانزياح التركيبي في:

1- التكرار:

يُعد التكرار ظاهرة أسلوبية شائعة الاستخدام منذ القدم ,فهو من أهم الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها الشاعر في تشكيل الموسيقى الداخلية لخطابه الشعري , وإحداث نغم إيقاعي يضفي لمسة جمالية فنية ,يتركها في ذلك الخطاب، كما أنه يضفي على القصيدة انسجاماً صوتيا ,يترجم دفقات شعورية ينتج عنها تكرار الحرف أو اللفظات أو حتى العبارة إضافة إلى دوره في لفت النظر إلى المدلول عن طريق الإيقاع الصوتي نفسه أو تخليصه مما يلبس معناه ، وقد يرد التكرار استجابة لمقتضيات اللغة أو التركيب أو الإيقاع، فيكون بذلك استخدام هذه الظاهرة

[1] - صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق، القاهرة،ط1998،1، ص211

[2] - ألبار عبد القادر ، الانزياح في محوري التركيب و الاستبدال، مجلة الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح ، الجزائر ع 9 ،2010 ،ص49.

الأسلوبية لغاية لغوية متعلقة بالمعنى المراد أو موسيقية كالاستجابة للقافية أو نفسية يرى الشاعر من خلالها إلى هدف أراد تحقيقه في نسيجه الشعري.

ويشغل التكرار في الشعر الأندلسي حيزاً واسعا، ربما لإدراك أهميته البالغة في إثراء الموسيقى الداخلية وخدمة الدلالة في القصائد والمقطوعات الشعرية ومن أقسامه:[1]

1-1- التكرار اللفظي:

يقوم هذا النوع من التكرار على إعادة اللفظة الواردة في الكلام ويبرز في الشعر من خلال تكرار كلمة واحدة أو أكثر في البيت الواحد، ويعد التوكيد من أهم دلالات هذا الأسلوب الإيقاعي الذي يكسب المدلول قوة تأثيرية إلى جانب الموسيقى الذي يمنحه تكرار الألفاظ للأبيات الشعرية ، وبالتالي تكرار اللفظ جانبان من الأهمية، فهو أولا يركز المعنى ويؤكده، وهوثانيا يمنح النص نوعا من الموسيقى العذبة المنسجمة مع انفعالات الشاعر أي أنَّه ظاهرة فنية تدعم الجانبين الدلالي والإيقاعي للنص الشعري وجب توظيفه وفق ما يستدعيه السياق، بحيث يحدث ترابطا ين اللفظة المكررة والمعنى حتى لا يكون مجرد إعادة لألفاظ تخلو من الأثر الانفعالي في نفس المتلقي.

لقد ورد التكرار اللفظي في شعر ابن شكيل ومن أنواعه:

1 - 2 - التكرار البياني:

وهو أبسط أنواع التكرار ويعد أصلا لكل تكرار تقريبا وهو ما قصده القدماء عند ذكرهم مطلق التكرار ويدخل ضمنه ما عرف في علم البديع بـ (الترديد) من ذلك قول ابن شكيل في مدحه:[2]

الله أكْبَرُ هَذَا وَجْهُ إِسْحَـــــاَقا هذَا الهِلَالُ وهَذَا الشَمسُ إِشْرَاقَـــا

هَذا الإِمَامُ الذِي طَابَتْ مَخَابِرُهُ وطَابَ نَفْسًا وأغْصَانًا وأوْرَاقـــــَا

[1] - ينظر: لعرابي خديجة، دلالة التكرار في نماذج من الشعر الأندلسي مجلة الدراسات، جامعة طاهري محمد الجزائر, المجلد 08 , ع 01 ,2019, ص138.

[2] - الديوان ص69.

هذا الذِي جِيـــــدَتْ الدُنْيَا بِنَائِلِه وأوْرَاقَ الصَخْرِ مِنْ جَدْوَاهُ إيرَاقــاً

هذا الذِي أمِنَ الَفجُ العَمــيقُ بِه وطَيَّر الرُومُ والصِلْبَانُ اشْفَــاقــاً

هذا الذِي هَجَرَ الأَوْطَانَ مُحْتَسِباً في طَاعةِ اللهِ يُفْني العُمْرَ إنْفَــاقــاَ

فقد تكرر (اسم الإشارة) سبع مرات ,وفي كل مرة تعلق اللفظ المكرر بمعنى أراد الشاعر إضفاءه على ممدوحه فهذا (وجه اسحاقا) و (الهلال) و(الشمس) إشراقا والإمام الذي طابت مخابره), وهو من (جيدت الدنيا بنائله) و(أوراق الصخر منجدواه إيراقا) و(أمن الفجّ العميق به وطير الروم والصلبان إشفاقا) وهجر الأوطان محتسبا) و(منفي طاعة الله يفنى العمر إنفاقا).

فقد عمل التكرار على تتابع الصفات الحميدة للممدوح، وقد جعلها بصيغة الماضي للدلالة مع حصولها وانتهاء الحدث ومعرفة الناس به معرفة قطعية, إلا التعبير الأخير فقد اختلف فيه التركيب فقد جاءت صيغه الفعل مضارعة للدلالة على الاستمرارية في الحاضر والمستقبل، لأن الطاعة الخالصة لله يجب أن تكون مستمرة في الوقت الحاضر والمستقبل مع التسليم بحصولها في الماضي.[1]

كما يردد في رثاء أخيه لفظة (الهم)، قال مخاطباعينه:[2]

تَأْوِينِي هَمِّي فِبـــــــت كَأَنَّنِي عَلَى مُسْـــــتَقِلاَتِ النُّجُومُ رَقِيـــــــبُ

كَأَنَّ الدُّجَى ,و الشـــهبُ هَمِّــي وَنَارُهُ، إِذَا شَبَّ مِنْهَا فِي الضُّلُوعِلَهِيبُ

سَقَيْتُ حُمْيَا الشَّوْقِ، فَالَهُمُّ سُكْرَهَا وَأَكْثَرُمَا أَلْهَى المَشُوقَ نَحِيـــــــــــبُ

إنَّ إلحاح الشاعر على كلمة همّي يدل على حرقة الحزن التي تعصف بقلبه نتيجة لفراق أخيه, كما تكررت في القصيدة ذاتها ألفاظ تفوح في أسى وحزن مثل كلمة (نوح) ,التي وردت في محاورته لحمامة الأيك قائلا :[3]

أَقُولُ وَقَدْ غَنــَّتْ حَمَــامَةُ أَيْكَةَ ومَالَ بِهَا بَيْنَ الأَرَاكِ قَضِـــــيبُ

[1] - عهود عبد الواحد ،الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي ،ص41 ،
[2]- الديوان ،ص 35 .
[3] - الديوان ، ص 37 .

أَسَاجِعَةُ الأَغْصَانِنُوحًا ، فَإِنَّنِي عَلى النَوْحِ مَا بَيْنَ اللُّحُونِ طَرُوبُ

فقد تكررت الكلمة مرتين تركيزاً على معناها الذي تآزر مع كلمة (الهم) السابقة , ليرسم صورة لحالته النفسية الحزينة, لاسيما أنه أدخلها في نسق حواري يرسم لنا صورة صوتية تسمعنا أنينه الذي شاركتهبهالحمامة الساجعة.

إنَّ حُبَّه الشديد لأخيه جعله يجسد شعوره بالأسى لكريم خصاله و حسن فعاله ,لذا سيطر الفعل "كان" مجرداً أو متصلاً بضمير المتكلم "كنت" متتالية في القصيدة ذاتها : حيث يقول:[1]

وَكُنْتُ أَرْجَى أَنْ تَزِيـــــدَ حَيَاتَهُ حَيَاتِي شَانَتْهَا عَلَيَّ شُـــعُوُب

وَكُنْتُ أَرْجِيهَ لِكُلِّ مَـــــلـــــمَّة فَقَالَ الرَّدَى إِنَّ الرَّجَاءَكَذُوُب

وَكَانَ سَرِيَعا حِينَ يُدْعىَ إِلَى النَّدَا وَكَمْ مِنَ فَتًى يُدْعَى وَلَيْسَ يُجِيبُ

وَكَانَ حَياً فِي المــحْلِ يَعْلَمُ ضَيْفُهُ إِذَا أَمَّهُ أَنّ المــحَلَّ خَصِيـــــبُ

وفي كل مرة تكررت فيه كلمة "كان" أو" كنت" ردد الشاعر صفات كريمة لأخيه أظهرته بأفضل صورة للرَّجل الكريم الشجاع .

وقد لا تتكرر الكلمات ذاتها و إنما ما اشتق منها أوما اشتركت معه في جذر لغوي واحد دون اختلاف في المعنى,وهو ما عرف في البلاغة بالجناس الاشتقاقي أو تجنيس التصريفكما في تكرار كلمة" الرجاء" و ما اتفق منها مثل (أرجى) و (ارجيه)الواردة في الأبيات السابقة وكقوله:[2]

فَنَحْنُ بَكِينَا نَبْتَغِي الأَجْرُ فِي البُكَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا وَالَّصُبورُلَبِيبُ

فقد ورد الجناس الاشتقاقي في(بكينا والبكا) و(صبرنا والصبور)تركيزاً على معنى البكاء والصبر المتلازمتين حيث جاء البيت ردًا على أحد أعداء الشاعر، إذ لم يبك حزناً وإنما بكى ابتغاء أمر الله فصبر طاعةلخالقه.

[1] - الديوان ، 36 .
[2]- الديوان،ص 37 .

1 - 3- تكرار تلاحم المعاني:

وهو نوع من التكرار يؤدي إلى ربط المعاني بعضها البعض الآخر, ويدخل ضمنه ما اسماه البلاغيون بـــ(رد الأعجاز على الصدور) ويعني : أن تكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت وفي المصراع الأول وحشوه وآخره وصدر المصراع الثاني وحشو وهو كثير في شعر ابن شكيل لمَالَهُ من قيمة إبداعية تجعل البيت متلاحم الأجزاء ,وظهر في أغراضه جميعا ولاسيما في الرثاءكما في قوله:[1]

رِضَى بِقَضَاءِ اللهِ فَهُوَ مُصيبُ وَصَبْرًا عَلى الأَحْدَاثِ فَهِيَ تَنُوبُ

خَلِيلِي قَدْ وَارَى التُّرَابُ أَحِبَّتي فَلَمْ يَبْقَ لِي فَوْقَ التُّرَابِ حَـــبِيبُ

فقد وردت كلمة (أحبتي)في العروض, وتكرر ما اشتق منها وهو(حبيب) في الضرب توكيداً على افتقاء الأحبة، وتلاحم معه تكرار كلمة (التُّراب)وقد مرَّ الشاعر بها إلى الموت والحياة وأدخلهفي نسق تضاد فبالأمس أحبته فوق التراب أحياء ,واليوم قد واراهم الثرى,فأصبحوا تحته أمواتا حتى لم يبق الشاعر فوقه حبيب, وكان قاصدًا في تكرارها إظهار المقارنة بين الماضي والحاضر ويقول في رثاء جدته :[2]

دَعَتْهَا المَنَايَا فِاسْتَجَابَتْ دُعَاءَهَا سَرِيعًا وَ دَاعِي المَوْتِ أَسْرَعُ مَا دَعَا

لقد تكررت الكلمات المتفقة في الاشتقاق وهي (دعتها ، دعاءها داعي الموت ، دعا) ، وحققت فائدتين أحداهما،لفظية سياقية معنوية ،حيث تلاحمت المعاني من خلال تأكيد الشاعرمعنى الدعوة الذي أبرزه أسلوب التكرار ووضحه البناء التصويري من خلال التشخيص، فالمنايا تدعو فيستجاب لها ، وداعي الموت لا يمهل كثيراً فهو أسرع من دعا ، والأخرى موسيقية من خلال تكرار الحروف الداخلة في تكوين تلك الكلمات مما أحدث نغما نتيجة لذلك التكرار.

[1]- الديوان ص 35 .
[2] - الديوان ص 62 .

2- الإجمال و التفصيل:

فن سياقي تتضح فيه قدرة المبدع على التمكن من ناصية فنه ,تحتوي تشويقا يشد السامعين الى أمر معين يحمل الفكرة ثم يعقبها بتفصيل, يرضي فضول المتلقي في معرفة المزيد عن فكرة المبدع ، وقد انتبه البلاغيون إلى أهميته فمنهم من ذكره تحت عنوان (تغيير الإجمال والتفصيل) ومنهم من عرفه بقوله:[1]

" أن يأتي المتكلم بشطر بيت من شعر له متقدم في فتره أوأنظمه صدراً كان أو عجزاً يفصل فيه كلامه بعد أن يوطئ له توطئة ملائمة "

وهناك ثلاث قضايا بديعية تندرج تحت هذا المصطلح هي التقسيم والجمع

والتفريق ,وهذا المصطلح يخدم القضايا المشار إليها فهو يشكل طبيعه أسلوبية, تجري فيها الأنساق اللغوية التي تتشكل على وقف علاقات بنائية مختلفة تكشف عن الحكمة العقلية التي شكلت النص المكتوب,وذلك أن العقل يتحرك بطبيعة تفصيلية تكشف عن أنَّ هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للتجزئة أحياناً ,أوأنَّها تتحرك مع عناصر مختلفة ,تكون هذه العناصر مجتمعة فكرة عامة أو كلية ، ومن هنا فان ذكر الشيء تم تقسيمه إلى عناصر مختلفة شيء واحد أو ذكر الشيء ، وتفريقه مع عناصره ما هو إلا أسلوب في الإجمال والتفصيل.

لقد ورد في شعر ابن شكيل الإجمال والتفصيل من ذلك قوله مخاطبا دار البلى التي أخذت منه أحبة كثر:[2]

إليكَ مَآبُ الكُلُ مِنْهُم مَلْبَثُ قَلِيلاً وَمِنْهُمْ مَنْتَوَلَى وَوَدَّعَ

فالإجمال في قوله (إليك مآب الكل) فكل الناس راجعون إلى دار البلى إلى المقبرة ، أما التفصيل ففي قوله : (منهم ملبث قليلاً) و(منهم من تولى وودعا)، حيث استقصى بتفصيله صنفي الناس فمنهم اللابث قليلا ، ومنهم ما سبقه

[1]- المدني ،أنوار الربيع، تح شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان ،النجف الأشرف ،ط 1969 ، ص166
[2] - الديوان، ص 61.

حيث تولى وودع , وفي هذا الخطاب تحقيق لحزنه فلإن ذهبت جدته ووودعت أبناءها وأحفادها ,فهم من بعدها على الأثر, وهذه هيسنة الحياة ,ويمكن تمثيلها

الإجمال (إليكمآب الكل) التفصيل --------- منهم ملبت قليلا.

--------- منهم من تولى وودعا.

وجعل (الباقي) مقدما في تفصيله على(الفاني) اهتماماً بالسامعين الذين احترقت قلوبهم حزناً مع هذه الفقيدة ,وهم الذين يمثلون هذه الفئة (الباقين) وكقوله في رثاء جدته معدداً فئات المصلين عليها لشدة صلاحها:[1]

وَصَلِّى عَلَيْهَا كَاتِبَاهَا وَصَحْبُهَا وَجِيرَتُهَا شَيْخًا وَكَهْلاً وَمُرْضِعَا حيث أجمل الشاعر كلمة (جيرتها) ثم فصل ذلك لبيان فضلها عليهم جميعاً ومواصلتها لهم و حسن علاقتها بهم, ولو مثلنا ذلك بمخطط لوجدنا

الإجمال (جيرتها) التفصيل ----- شيخا

------- كهلا

------- مرضعا

حيث راعى الشاعر الترتيب التسلسلي للمصلين فأكثرهم صلاة الشيخ يليه الكهل فالأقل صلاة والأكثر انشغالا (المرضع) التي لم يلهها طفلها عند افتقاد الرتيبة والصلاة عليها.

وقد يقع الإجمال و التفصيل ضمن تناص قرآني كقوله في رثاء جدته, إذا ابتدأ قصيدته بخطاب دار البلى التي عمرت بمعثره وانطلق إلى وصف الحشر قائلاً:[2]

إلَى الحَشْرِوَاسْمُ الحَشْرِ وفْقٌ لِشَكْلِه جِمَاُع أمُورِهَا أَهَمُّ وَأشْنَـــــــــعَا

مَقَاُم يَعُمُ الإنْسَ وَالجِّنَ هَوْلُـــــــه وَيُحْشَرُ فيه الوَحْشُ شِرْبَا مُفْزِعَا

[1] - الديوان ص 62.

[2] - الديوان ،ص 61 .

تُبَدَلُ فِيه أَرْضُه غَيْرُأَرْضِنَا وتُطْوَى السّمَواتِ العُلَى طَيَةَ مَ

فَيَالَلَكَ يَوْمَا قَلَّ سَعْيُ الوَرَى لَهُوَمَافِيه للإنسان إِلَّا الذِي سَعَى

فقد أفاد في وصف هول ذلك اليوم من مشاهد القيامة الواردة في القرآن الكريمفالحشر يعد الجميع كما في قوله : (وترى الأرض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)(الكهف 47)، غير أن طريقة الحشروفق شكله، ويعتمد الشكلعلى الفئات ففئة المؤمنينغير فئة الكافرين , قال الله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفداً، ونسوق الكافرين إلى جهنم وردا) (مريم 35 -86) وهنا نلاحظ قدرة الشاعر على الإشارة الموجزة إلى آيات كثيرة في هذا الباب مما يدل على تمكنه الشعري وسعة لإطلاعه على القرآن الكريم وستر في لمحته الموجزة بقوله " جماع أمور ما أهم وأشعا حيث يشيرإلى هول يوم القيامة الذيعبر عنه الخالق سبحانه في آيات متنوعة المواضع وأدخله في أسلوب تصويري.

لقد استعمل الشاعر في هذا التناص أسلوب الإجمال ثم فصله ,حيث أن هذه الأهوال تشمل ثقلين (الأنس والجن) ,ولا تسلم منها الوحوش ,فهي تحشر من دون حساب أن من تقرأ البيت تنشال في ذاكرته الآيات الكريمة : "ويوم تحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتهم منالإنس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله، (الأنعام 128) (وإذا الوحوش حشرت) التكوير5.

أما البيت:

تبدل فيه أرضه غير أرضنا وتطوى السموات العلى طية معا.

فقد تناص الشطر الأول مع قوله تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا الله " إبراهيم 48. أما الشطر الثاني فقد تناص مع الآيتين

في قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) الأنبياء 104 والأخرى قوله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الزمر 67

3- المبالغة:

يكمن جمال الشعر في ابتعاده عن الواقع وتحليقه في عالم الخيال، وقد صنف البلاغيون (المبالغة) ضمن المحسنات المعنوية يقول صاحب الطراز : " أعلم أن المبالغة ترجع حقيقة أمرها الى دعوى المتكلم للوصف اشتداداً فيما سبق من أجله على مقدار فوق ما يسلمه العقل يستقر به. [1]

وذكروا لها أقساما ثلاثة هي: المبالغة والإغراق والغلو وعليه المبالغة قيمة عليا من حيث الثراء الفني للنص، لذا سأحاول تلمس مبالغات ابن شكيل و هي سمة واضحة في شعره برزت في أغراضه المختلفة، وأفاد من هذا الأسلوب بحسب حاجة السياق مطعما هذه المبالغة بالعاطفة الجياشة في رثائه وفي الحماسة التي برزت في صوره القتالية عند مدحه. [2]

فمن مبالغته في مدح والي اشبيلية أبي إسحاق قوله واصفا خيله موضحا قوته مبرزا جرأته على المواجهة وإصراره على الانتصار:[3]

إنْ كُنْتَ غِزْلاَن الصَّرِيمَة فَاسْنحِي أوْ كُنْتَ عِقْبَانَ السّرَاءِ فَحُومِي

لمّاَ اسْتَهَلَ بِها الثُّغُورُ صَوَارِخَـــا طَلَعَتْ طُلُوعَ العاَرِضِ المَرْكُومِ

تَقعُ السَنَابِكُ بالصّفَـــا فتَرَى به آثارَها كالطّابَـــعِ المَخْتـــُومِ

قَالَتْ جُمُوعِ الرُومِ حِينَ وَطْئَتُهُم وَيْلٌ لِبِيضِ رُؤُوسِنَا المَخْطُـــومِ

فِيها بُروقُ المَشْرَفيَّة لُمَّعَـــــا تَعِدُ الكُمَاة بِجَحْفَلٍ مَهْـــزُومِ

إنّها صورة مليئة بالحياة والحركة لخيل والتي دلت على قوته وشدة بأسه ، وقد أدخل المبالغة في أساليب تصويرية أثرت دلالة السياق بشكل كبير فقرنها بالغزلان والعقبات ولم يشبهها بها, إنّما خاطبها وكأنّها هي فإن كانت غزلان الصريمة ,فلتأت من جهة التيمن وإنْ كانت عقبانا ,فلتحم حول أرض المعركة, فَإن صيدها من جنود الأعداء قادم ما دامت هذه الخيل السريعة والرشيقة تحت فرسانها الأشداء ,وهي مرعبة لأعدائها منذ أن استهل بها الهجوم بذلك الصهيل الذي عبر

[1]- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصر، ج 3، 1914،ص125

[2] - عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي، ص48.

[3]- الديوان ص 77.

عنه الشاعربـ (صوارخا), زيادة في تخويفها أعداءها وقد عبر عن قوتها بصورة بصرية فأرجلها حين تضرب حجارة الصفا الصلدة تتركفيها آثار السنابكِمرتسمة للدلالة على شدة الجري وقوة السنابك, وقرنها بصورة الطابع المختوم كي تتضح معالمه عند ختمه, ثم بين آثار قوة الوالي وتخويفه أعداءه من خلال بناء تصويري عماده الحوار, فجموع الروم بما عُرف عنها من استعداد للقتال خافت من الوالي وقد أحسن إذ وصفهم بقوله (جموع الروم), بينما وصف مجيء ممدوحه لهؤلاء بما يدل على مجيئه منفردًا نظرًا لقوته واستهانته بمجموعهم معبرا عن ذلك بقوله : (حين وطأتهم) و قد أحسن اختيار ذلك، لأن كلمة (الوطأة) تعنى بأن الواطئ منتصر والموطوء منهزم ولو قال (جئتهم) لما أدت الدلالة ذاتها.

وتتبين دلالة المبالغة في وصف النصر من خلال مقول القول: ويل لبيض

رؤوسنا المخطوم ، لأن سيوف الوالي وأتباعه ستبيد الأعداء من خلالضرب الهام الذي يضمخ بيض شعرهم بالدماء أو أن شيبهم سوف تدوسهالخيول لأن رؤوسهم ستتدحرج تحت سنابك الخيل فتهان و تذل, ثم استمر في تبيان معالم صورته من خلال قوله (فيها بروق المشرقية لمعا) اي ان سيفوالي وسيوف جيشه تساهم بين هام الروم فكان صورتها تلك تنبئ بنهايةالمعركة الحتمية بانهزام جيش الروم وانتصار الوالي الشجاع الذي أدارالمعركة بنفسه.

والملاحظ أنّ الشاعرغيب ذكر شجاعة الجيش ,الذي يقوده الواليليركزعلى شجاعته وتفرده وثقته بنفسه فلا تحتاج الى إدارة المعركة من بعيد أو بالواسطة ، وإنما هو سياق وكمي لا يخشى من ينازله.

قد تأتي المبالغة في باب الرثاء تعبيرا عن الحزن الشديد وعن افتقاد المرثي من خلال بيان آثره في محيطه, وتجسيد ذلك الأثر بصور ناطقة تفيض بالعاطفة الصادقة ,يقول ابن بيان أثره في محيطه جدته مبينا الفراغ الذي تركته: [1]

فخلَّتْ عليَّ الأرضُ حتَّى كأنَّمَا حَرَام علَى الأجْفَانِ أنْ تَتطلَّعَا

وَحتْمٌ علَيْهَا أنْ تصُوبَ فمَا همَتْ علَى مُمْحِلٍ إلَّا أصْبَحَ مُهْرِعَـــا

بكَى بعْدهَا المِحْرابُ شوقًا لقُرْبِهَا وروَّض منها التُرْبُ خِصْبًا فَأْيْنَعَا

[1] - الديوان، ص 62 .

لقد صّور الشاعر حزنه الطويل لهذا الفراق فلقد أصبح المكان خاليا موحشا

لا يستطيع أن ينظر إليه وقد أبدع الشاعر بتعبيره عن ذلك بقوله: (حتى كأنما حرام على الأجفان أن تتطلعا) فكأنما لا ينظر امتثالا لأمر محرم والإنسان الملتزم أشد ما يتوخاه الابتعاد عن الحرام فانعكست ثقافته الدينية على بناء صوره الفنية، وتتضح المبالغة في التعبير عن البكاء المتواصل بجملة (حتم عليها أن تصوب) كأنما غنيمة تصوب للدلالة على شدة البكاء وتواصله ، ويستمر الشاعر في إثراء دلالته المتمثلة في التعبير عن بركة هذه العائلة و شده تدينها من خلال بكاء القاضي الحفيد المؤمن على جدته الصالحة بقوله : فما همت على ممحل إلا وأصبح مهرعا) أي أن هذه الدموع المباركة ما مست قربا إلا و حولت عطشه وجدبه سقيا و ابتلالا فماله من باك ويالها من فقيدة .

وقد توّج الشاعر مبالغته من خلال توظيف التشخيص في قوله: (بكى بعدها المحراب) وإدخاله في صورة متحركة والمحراب باك متشوق للمرثية وقد روت دموعه المباركة على المرثية الأرض الجدباء فأحالت جدبها خضرة وموتها حياة وكأن المرثية تهب بموتها الحياة للمكان الذي طالما عملت فيه صالحا حتى افتقدها.

وقد تدخل المبالغة في نسق تصويري كقوله راثيا شيخه أبا حفص :[1]

يا خَجْلَةَ القَمَرِ المُنِيرِ وَقَدْ رَأَى عُمْرًا بِأَنْوَاعِ الجَلاَلَـــــة مُلْبَســـَا

لوْ يَستطيعُ لجاءَ مُقْتَبِسًا لَها مِنْ أُفْقِه وإذاَ لَصَـــادَفَ مَقْبِســـــَا

لقد رصد ابن شكيل لمبالغته التعجب الممزوج بالتشخيص في قوله :(يا خجلة القمر المنير) فالقمر خجل من بهاء جلال أبي حفص مستثمرا ما يقدمه التشبيه المقلوب من مبالغة في جعل نور أبي حفص يفوق نور القمر.

فخجل من تلك الزيادة فطفق يرجو اقتباسه من المرثي لو استطاع (واذا لصادف مقبسا) وهنا زاوج الشاعر بين أساليب البديع وأساليب البيان في إثراء دلالة رفعة المرثي وجلالة قدره ومنها أيضا راثيا ابني الوزير أبي الحجاج:[2]

[1]- الديوان، ص60.
[2]- الديوان، ص 52 .

أسْعدَاني يا فَرْقَدَانِ و غُوَرا فَرْقَدَا الأَرْضِ غَوّرَا فِي الصَّفِيحِ

كَيْفَ تَبْقَى النّجُومُ بعْدَهُمَا لَمْ تَنْكَدِرْ والجِبَالُ ذاَتَ جُنُوحِ

كَيْفَ لَمْ تَلْفَظُ المَقَابِرُ مَوْتَا ها ويَبْدُو الأَدِيمُ غَيْر صَحِيحُ

فقد خاطب الشاعر نجمي الفرقدين طالبا منهما أن يغورا وينكسفا حزنا على فرقدي الأرضابني الوزير اللذين غورا في الصفيح ووريا في الثرى، والملاحظ دقة اختياره للفرقدين لأنهما معروفان بعلوهما ويتلازمهما في الظهور والإختفاء لينعكس ذلك على المرئيين اللذين كانا عالي المقام ومتلازمين في حياتهما، فتلازما في مماتهما .

وقد استثمر طاقات التركيب في أداء مبالغته من خلال ايراد استفهاميين انكاريين بالغ فيهما بإظهار رفعة المرثيين في البيتين الثاني والثالث ،حيث تساءل كيف بقيت معالم الكون على حالها بعد موتهما ولم تقم القيامة حيث تنكدر فيها النجوم وتسير الجبال وتلفظ المقابر موتاها وتتغير طبيعة الأرض ،وربما كانت هذه الصورة اكثر ابيات ابن شكيل مبالغة إذ حشد لها طاقاته التعبيرية من تعليق في الخيال وقدرة على توظيف الحوار وادخاله في رسم صورة عمادها التشخيص والاستعارة التصريحية وتوظيف لطاقات التركيب .[1]

4 -حسن التعليل:

يميل الانسان بطبعه إلى التعليل بنوعيه عندما تستوقفه مواقف تحتاج شرحا وتعليلا سواء أكان الشرح علميا بالرجوع الى طبائع الأشياء والقوانين التي يخضع لها نظام الكون والمجتمع ، أم أدبيا يتخيل الشاعر أسبابه المؤسسة على الخيال والعاطفة للتأثير في وجدان السامع وإدخال السرور عليه بمدحه أو التخفيف من وقع مصيبته والتقليل من شدة ألمه . [2]

[1]- ينظر: عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي، ص 52.
[2]- الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي ،ص 52 .

وقد رآه عبد القادر الجرجاني ضربًا من التخييل، قال عند الحديث عنه "هو أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلة يضعها الشاعر ويختلقها ، إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور. [1]

وهذا ما وجد في شعر ابن شكيل حيث يميل الى حسن التعليل الممتزج بالعاطفة وروعة التصوير من ذلك قوله: [2]

يا مَنْ لِصُبْحِ الشّيْبِ كَيْفَ تَنفَّسَا في لِمّتى فَأجَابَهُ لَيْلُ الأَسَى

لاَ تحسبنَّ سواء شعَرْي نعمة لكن كسته هُمومُ قلبِي حِنْدَسَا

إلا يَكُنْ شَابُ العِذَارُ ولا انحنى ظهري فقدْ شابَ الْفؤاد وقوَّسا

إنّه لحسن التعليل يستوقف القارئ، ينم عن براعة في استعمال التضاد للإبانة عن عاطفته الجياشة، المعبرة في حزنه لفراق أب روحي وأستاذ طالما أحاط الشاعر بحبه ورعايته فقد عبر عن شدة معاناته لمصابه الكبير بانتشار الشيب ، واختار له تعبيرا عماده التشخيص في (صبح الشيب) (كيف تنفس) في لمته مستغلا الطاقة الإيحائية للتناص القرآني في قوله تعالى:(الصبح إذا تنفس) غير أن الشاعر أراد التعبير المجازي عن ذلك التنفس أي ظهور الشيب حزنا وألما غير أن (ليل الأسى أجابه) لتنثال الدلالات الرمزية للون الأسود ، فمنها الحزن على الفراق ، ومنها كثرة الشعر الأسود، لأن الشاعر شاب في العشرين من عمره وليكون التضاد بين(تنفس الصبح) و(ليل الأسى) موضحا للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر في شبابه الظاهري وشيخوخة روحه الباطنية وهذا ما يعضده البيت الثاني الذي علل سواد شعره على كثرة مصائبه بأن هموم قلبه هي التي كسته لون الحندس أي شدة السواد ويردف ذلك بمعنى سابقه بقوله :

إلا يكن شاب العذار أو انحنى ظهري فقد شاب الفؤاد و قوسا

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح هريتز مطبعة وزارة المعارف استانبول أعادت طبعه مكتبة المنى بغداد ط ح، 1919 . ص .250

[2]- الديوان ، ص56.

فكيف خفيت الآثار الظاهرية للحزن فإن (شاب العذار) أو (انحنى الظهر) فان ما خفي كان أعظم " فقد الشباب الفؤاد و قوسا" تعبيرًا عن التأثير النفسي الداخلي لهذه المصائب المتتالية على روح الشاعر و قلبه.[1]

وقد يدخل حسن التعليل في بناء تصويري يكون جزءًا من رسم صورة لبطولة ممدوحه الوالي أبي إسحاق إبراهيم حيث يقول : [2]

والأرْضُ وَاجِفَة وما رَجَفَاتُها إلَّا لِأَنَّ بِها قُلُوبَ الرُّومِ.

فقد علل اضطراب الأرض ورجفاتها بوجود الروم الذي رجفت قلوبهم خوفا وهلعاً من قوة الممدوح وسطوة جيشه معضدا بناءه التصويري ببناء تركيبي يبالغ في تكثيف المعنى من خلال أسلوب القصر الذي حصر سبب الأرض برجفات قلوب الأعداد مبالغة في كثرتها وشدتها.

5- التضاد:

وُرد أسلوب التضاد في أشعار الشعراء القدامى والمحدّثين، لما لهذا الأسلوب من أهمية في إثراء النص الأدبي ، وتعزيز الدلالة وتنبيه المتلقي وشد للكشف عن مقاصد الشاعر من وراء الثنائية المتضادة الواردة في النص و تقبل فكرته .

تعريف التضاد:

أ - لغة: " الضِدّ كل شيء ضَادَّ شيئا ليغلبه والسَواد ضِد البياض و الموت ضد الحياة و الليل ضد النهار إذ جاء هذا ذهب ذاك." [3]

ب- اصطلاحا : " هو الجمع بين معنيين متضادين أي معنيين متقابلين في

الجملة ، سواء كان ذلك التقابل ، تقابل التّضاد أو الإيجاب والسلب ، أو العدم والملكة أو التضايق أو ما شابه ذلك سواء كان ذلك المعنى الحقيقي أو مجازياً.

والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف ، هو المثير الأسلوبي ، وقيمة التضاد

[1]- الديوان ، ص 53.
[2]- الديوان ،ص 74 .
[3]-اللسان ، ج 3 ،ص 263.

الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين. [1]

نستنتج من خلال هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمصطلح التضاد أن التضاد هو نوع من العلاقة بين المعاني ،إذ أنّه بمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ونجده في الألوان ، فالتضاد بمفهومه العام هو التنافي، والنقيض والاختلاف وهو ضد التشاكل.[2]

تُعد بنية التضاد أحدى البنيات الأسلوبية التي تُغني النص الشعري بالتوتر والعمق والإثارة وتقوم هذه البنية على الجدل الذي يعني وجود حالة تناقض و صراع وتقابل بين أطراف الصورة الشعرية .. غالبا تشتغل على شكل ثنائيات ضدية وهي العنصر أكثر أهمية من مكونات النص الشعري [3]

فالشاعر حين يجمع بين عواطفه ومشاعره في الحب والحياة ومشاعره وعواطفه في الموت والفناء إنما يوظف حسه بهذا الطباق في صورة أدبية تعد عملا فنيا خلاقا تتحرك فيه الفكرة الأدبية بحرية وعفوية وقوة ، مثل تلك الفكرة

قائمة على قوة ارتباط وتفاعل تلك العاطفتين وذلك الشعور بين الحب والبقاء والموت والفناء وما تقابلهما وجها لوجه واندماجهما بفكرة واحدة تكون مصدر الصورة الشعرية. [4]

لقد استعمل ابن شكيل التضاد بشكل كبير في شعره وأدخله في أغراضه كلها وأهم أغراضه التي بدا التضاد معبرا فيها :

5-1- الرثاء:

يُعد الرثاء أرضا خصبة للغة التضاد، لأن الموت بطبيعته مؤلم وجاء يقف بين عالمين، هما أبعد ما عيّناه وما عانيناه الوقت نفسه: [5]

---

[1]- حليم فهد عبود، أسلوب التضاد في شعر كاظم الأزري ، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد 2، 2023، ص363.

[2]- م س ،ص 363.

[3]- م س . ص 364.

[4] - عناد غزوان، التحليل النقدي والجمال الأدبية، دار آفاق عربية بغداد ط، 1985 ، ص 75.

[5] - عبود عبد الواحد، الأنساق السياقية عند ابن شكيل، ص54.

لذا استشمر ابن شكيل طاقات التضاد في رثائه وأفاد من مساحات التوتر التي توفرها في الخلق الشعري يقول:[1]

حذَارِ حذَارِ مِنْ رُكُونِ إلى الزَّمَنِ فَمَنْ ذَا الذِي يُبْقِي عَلَيْه وَمَنْ وَمنْ

أَلَمْ تَرَ لِلأَحْدَاثِ أَقْبَلَهَا المُـــــنَى وأَقْتَلَهَا مَا عَرَّضَ المَرْءَ لِلْفِتَنِ

تَسُرُّ مِنَ الدُنْيَا بِـــــمَا هُوَ ذَاهِبٌ وَيْبكِي عَلَى مَا كَانَ مِنْها وَلمْ يَكُنْ

أَرَى دَارَنَا لَيْسَتْ بِـــــدَارِ إِقَامَة أَرَدْنَا نَوَاءٌ عِنْدَهَا وَهِي فِي ظَعَنْ

فَكَمْ سَكَنَ الدُنْيَـــا مُلُوكٌ أَعِزَّةٌ تَفَانِ فَلَمْ تَسْتَبِقْ مِنْهُمْ لَهَا سَكَنُ

وكَم فِي الثَّرَى دَسَتْ جَبِيَن مُتَوّجٍ فَأَصْبَحَ بِالأَقْدَامِ يُوطَا وَيُمْتَهَنْ

وكَالصَّقْرِ فَوْقَ السَابِقَاتِ اغْتَضَتْ بِهِ أَعَالِي أَعْوَادِ مِنَ النَعْشِ فَارِجحَنَّ

ومَنْ ضَاقَتْ الدُنْيَا بِه وبِجَيْشِه طَوَتْ شَخْصَهُ فِي قَيْدِ شِبْرٍ مِنَ الكَفَنِ

نلاحظ أنّ التضاد سيطر على جوّ الأبيات ولنبدأ بمستوى القراءة الأفقية حيث بدأ البيت بالتحذير من الركون الى الزمن ، لأنّه يحقق نقيضين حيث يبقى أشخاصا ويذهب آخرين، فتبدأ لدينا سلسلة متناقضات بين أقبلها المنى واقتلها ما عرّض المرء للفتن)) و (تسري وتبكي)و(أردنا نواء / و هي في ظعن) و (سكن /ولم تسبق منهم لها سكن) و(جبين متوج / واضح بالأقدام يوطأ ويمتهن) (والسابقات و المواد من النعش) و (ضاقت الدنيا به وبجيشه و طوت شخصه في قيدشبر من الكفن) والملاحظ وجود تساوٍ بين النقيضين على المستوى الصرفي و النحوي في قسم من الثنائيات السابقة ، مثل ثنائية (اقبلها وأقتلها) وكلاهما اسم تفضيل اتصل به الضمير، و(تسر وتبكي) كلاهما فعل مضارع وان بنبي الأول للمجهول والثاني للمعلوم ولكن الفعلين دلا على اختلاف حالتيهما .

ومن القراءة العمودية تتبين لنا ملحوظات : أهمها

- ورد طرف الثنائية الأول كلمة ووصفها ، بينما ورد الطرف الثاني جملة كما في (جبين متوج وأصبح بالأقدام يوطأ و يمتهن.

[1] - الديوان ص 81.

وقد قدم شبه الجملة لغرض التعجب والتخصيص ، وكان خبر (أصبح) جملة فعلية تدل على الحدوث والتجدد والغرض من ذلك إيضاح الحال المتبدل من التتويج الى الوطء بالقدم والامتهان، وهذا يحقق مقولة الشاعر التي تصدرت قصيدته وحذرتنا من الركون إلى الزمن الذي تتغير فيه الأحوال.

استعمال التصوير وسيلة لرسم المتناقضات كما في (والصقر فوق السابقات) حيث استعمل التشبيه وسيلة لرسم الصورة، فشبه الفارس في شدته وسرعة انقضاضه بالصقر فوق الخيول السريعة ،وأراد بقوله : اعتضت به أيْ عوّض عنه وتبدل حاله إلى رفعة المرثي على أعواد النعش ، فحرص على رسم صورته مرتفعا في الحالتين.

مع بيان تغيرهما من النشاط و الحركة الدائبة على السكون الدائم المفضي إلى الانتهاء المحتم ، وهو دليل سعي الإنسان و وجوده على قيد الحياة.

أمّا الصورة الثانية فكان عمادها الكناية كما في (ومن ضاقت الدنيا به وبجيشه) كناية عن الشدة والضخامة ،فمن كثرتهم تكاد الدنيا تضيق بهم ،ثم تبدل حالهم فأصبحت السعة شبراً من الكفن يطويهم كناية عن صغر المكان وضيقه، فاستثمر الشاعر الإيحاء الذي وفرته هذه الوسيلة التصويرية وأدخلها في تضاد بين الحالتين المتقابلتين.

- لقد ربط الشاعر نهاية المتناقضات ببدايتها فكلها تصب في مجرى اللاجدوى و ضرورة عدم الركون الى الزمن.

- سيطرت ثنائية الماضي والحاضر على أبيات القصيدة فالماضي كان زاخرا بامتيازات المتكبرين، في حين أصبح واقعهم الحاضر مؤلما، إذ لا سكن لهم، وتوطأ رؤوسهم بالأقدام ويرفعون على الأعواد ،ويطويهم بشبر من الكفن .

و يستمر الشاعر في قصيدته مبينا فعل الموت في قلب موازين الأمورعند أصحاب النفوذ فيقول:[1]

وَمُحْتَجِبِ لَا يَخْرِقُ الإِذْنُ حُجْبَهُ وَلُجْنَ مَنَايَاهُ عَلَيْه وَمَا أَذِنَ

وَذِي حَرَسٍ لاَ يَغْفِلُون اِحْتِرَاسَهُ رَمَتْهُ فَلَمْ يَنْصُرْ عَلَيْهَا وَلَمْ يَعُنْ

[1]- الديوان ، ص82.

وَمَاسِحِ عَطْفَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ إِنْبَرَتْ لَهُ الدُّودُ أَكْلًا فَانْثَنَى دَرَنَ الدّرَنْ

فَمَا أعْثَرَ الآمَالَ فِي أَجَلِ الفَتَى وأَقْرَبَ أَيَامَ السُّرورِ مِنَ الحَزنْ

إنّ القراءة الأفقية للأبيات الثلاثة تكشف لنا عن ثلاث حالات في الدنيا أبدلت بثلاث (فكثير الحجاب الذي لا يكلم إلا بإذن / ولجت عليه المنايا من دون إذن) و(كثير الحرس / اغتالته المنايا)، (ومن يبالغ في مسح كتفه من الدرن خيلاء وترفعا / فانبرت له الدود أكلا فأصبح درن الدرن) ، ثم يفضي الشاعر بنا الى حكمة مستقاة من ذلك تصل فيها مسافة التوتر إلى أقصاها ،حيث تستوي لديه الحالتان المتناقضتان، فلا يفرق بين أيام السرور وأيام الحزن لشدة وطأة الحزن عليه وشعوره بفقد والده.

أمّا القراءة العمودية فتفضي بنا إلى أن الحالات الثلاث التي ذكرها الشاعر تصب في حقيقة واحدة وهي أن الناس جميعاً سيقهرهم الموت فعليهم بمراجعة أنفسهم وترك الكبر .[1]

5-2- المدح:

لم تكن حرارة التضاد في المدح كحرارتها في الرثاء، بقلب الرائي موقد يبث حرارة العاطفة في أثناء أبياته مما يجعلها تدخل قلب السامع من دون وسيط، لذا اقتصر التضاد في المدح عند ابن شكيل على ظهور في أبيات متفرقة ولم يشغل مساحة قصيدة كاملة كما شغلته قصيدة الرثاء يقول عن ممدوحه:[2]

يَقِظ نِقَابُ ظُنُونِـه كَيَقِينـــــــه إنّ العُلُومَ نَتَائِجَ التَرْجِيـــمِ

بَاتَ الطُغَاةُ عَلى المَضَاجِعِ غَفَّلَا عَمَا يُرَادُ وَبَاتَ غَيْرَ نؤوم

وَهُو الحَكِيمُ يُزَيِنُـــــهُ سَفَهَ الوَغَى إنَّ الحَلِيمَ هُنَاكَ غَيْرَ حَلِيمِ

بَشِرْ يَتَامَى المُسْلِـــمِينَ بِوَالِـــــد مِنْهُ يَحـــتُوطُ ذَمَارَ كُلَ يَتِيمِ

وَالمُمْحِلاَتِ مِنْ البِلاَدِ بَوَابِـــــل مِنْ جُودِهِ يَحْيَ الأَنَّامُ سُجُومِ

[1]-الأنساق السياقية عند ابن شكيل الأندلسي ،ص 54 .
[2] - الديوان، ص78.

فأراد الشاعر أن يرسم لنا صورة لممدوحه اليقظ من خلال لغة التضاد التي تكشفها القراءة الرأسية حيث وردت المتناقضات في (نقاب ظنونه / كيقينه) و (بات الطغاة على المضاجع ليلا / وبات غير نؤوم) و (هو الحكيم/ يزينه سفه الوغى) و(اليتامى / والوالد) الممحلات والبوابل) .

أمّا القراءة العمودية فيميز لنا الصورة المتكاملة لهذا الممدوح وقد تسلح بالقوة واليقظة والحكمة والكرم مستخدما المبالغة أداة لإصابة المعنى في (و هو الحكيم يزينه سفه الوغى) حيث استثمر طاقة التشخيص (سفه الوغى) وجعل لها نقيضا وصف ممدوحه في صفة مشبهة (الحكيم) لتكون سمة دائمة لها انحلها في سياق جملة حالية توضح لنا حال الممدوح (يزينه سفه الوغى) كما استعملها أيضا في البيتين الأخرين. فالممدوح والد اليتامى المسلمين جميعاً ، كما أنه الواهب الخصب للممحلات من البلاد فكان جوده يهب الغيوم مطرا.

وأجد هنا أن حرارة التضاد قد خفت عما كانت عليه في الرثاء و إن استطاع الشاعر أن يحرك الجماد في صورة بالتشخيص، غيران ذلك كان شكليا تابع فيه صور الشعراء الذين سبقوه.

3-5- الوصف :

ورد الوصف في ديوانه في بيتين تحدث فيهما عن العشاق ، كان عمادهما التضاد وهما: [1]

النَاسُ فِي السِّلْمِ والعُشَاق بَيْنَهُمْ فِي أَعْظَمِ الحَرْبِ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ عَشِقُوا

كَمْ مَوْقِفٍ للوَغَى صَعْبٍ سَلِمْتُ بِه حَتَى شَهِدْتُ وَغَى أَنْصَارُهَا الحَدَقُ

إنّ القراءة الرأسية للبيتين تبين لنا قيامهما على ثنائيتين (الناس والعشاق) و(السلم وأعظم الحرب)، حيث صور العشاق تصويرا جعلهم ينفردون عن الآخرين بحسهم المرهف وعواطفهم الجياشة ،مستعملا المجاز للتعبير عن الراحة بالسلم ، وعن الاضطراب والخوف على الأحبة بـ (أعظم الحرب)، واستثمره في رسم صورة جميلة لعيني المحب المتلهفين على سماع أخبار حبيبه ، فكأنه في حرب وكانت عيناه ناصرتيه من خلال نظرها إلى المحبوب أينما ذهب وحيثما

[1] - الديوان ، ص70.

حلّ، وهي من أجمل مشاهده التي خلت من أدوات التصوير ما عدا التضاد وقد حوت جملا ايحائية تنطلق من ضرورة تصوير الحالة النفسية (الواقع الشعوري) على غير مثال، لأن أحدا لا يمكنه التنبؤ بدرجة تفجر الشعور أو شكله أو طبيعته أو طريقته فهو حالة خاصة تشبه بصمات الأصابع .

6- التناص:

هو إكساء المعاني المأثورة ألفاظا جديدة تبرز في أثناء النص الأدبي بغير حلتها الأولى مع بقاء المعنى الأصلي وزيادة ، ويتمثل هذا المفهوم واضحاً في نتاجات الأدباء والبلغاء على مرّ العصور، حين أخذوا المعاني والصور والألفاظ التي ظهرت في الأثار الفنية والأدبية التي سبقتهم، ومزجوها بثقافتهم وأخيلتهم وقرائحهم بأشكال جديدة في نصوصهم الإبداعية ، ويتمثل مفهوم (التناص) أيضا في الدراسات المتوافرة قديما على موضوعه، إذ أشار النقاد و البلاغيون إليه ووضعوه تحت عنوانات مختلفة لا تبعد في مضمونها عما هو شائع الآن بين المحدثين ، بينما ما ورده أبو الهلال العسكري في الباب السادس ، حيث سمّى فصلين منه بـحسن الأخذ وحل المنظوم) قال:"ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم وبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حلتها الأولى ومعرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها".[1]

وقد تناوله نقاد بلاغيون آخرون تحت مصطلح الاقتباس القرآني كالرازي إذ يقول:[2] "هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزيينا لنظامه وتفخيما لشأنه"، وقد عرف بمصطلح (التضمين)عند البلاغيين بمعنى:"استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك وإدخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك".[3]

والتضمين مؤثر على الثقافة الرفيعة والاطلاع الواسع. وقد اشرط البلاغيون في فحولة الشاعر ونبوغه أن يكون مطلعا على الشعر العربي ، حافظاً

[1] - أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح محمد أمين الخانجي، القاهرة ،ط2،ص168.

[2]- الرازي، نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز، تح ابراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان:1985، ص147.

[3]- العسكري،كتاب الصناعتين، ص35.

له راويا عن شعرائهم، عالما بما برعوا فيه من نحو وعروض ، محيطا بالأنساب وأعلام الرجال.

وعند اطلاعك لشعر أبي العباس أحمد ابن شكيل تجد أن التناص قد أخذ منحيين:

الأول: ديني

الثاني: شعري

6-1- التناص الديني :فهوقسمان:- التناص القرآني

- التناص مع الحديث النبوي الشريف

وأول ما نبدأ به هو:

6-1-1-التناص القرآني:

بالنظر إلى ثقافة ابن شكيل الدينية وتتلمذه على يد أشهر فقهاء عصره ، فقد أفاد إفادة كبيرة من هذا المنهل المقدس في رسم صوره شعرية وتركيز دلالته الأسلوبية وتنويع مضامين نصوصه ليشد انتباه المتلقي الذي اعتاد الإنصات إلى النص المقدس ويزيد من تفاعله مع الأثر الأدبي الممتزج مع هذا النص[1] وقد ورد التناص القرآني في شعر ابن شكيل بأشكال متعددة:

6-1-1-1- في إطار الإجمال والتفصيل: ذكرت هذا النوع ضمن حديثي عن الإجمال و التفصيل في شعر ابن شكيل لذا لا أعيد القول فيه تجنبا للتكرار.

6-1-1-2- في الوصف: حيث وظف الشاعر التناص في رسم صوره الشعرية كصورة الخير الذي قدم مع قدوم الخليفة ابن اسحاق، حيث يمدحه فيقول:[2]

فالظِّلُّ مَمْدُودُ كأَنَا فِي ذُرَى عدْنٍ بِهِ وَالشُّرْبُ منْ تَسْنِيمِ

فاستوحى صورة الظل الممدود لهذا الممدوح في الدنيا، وربطها بصورة من الصور التي رسمها القرآن الكريم للجنة المعدة للمؤمنين:(جنات عدن تجري من

[1] - عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية في شعرا بن شكيل، ص60.
[2] - الديوان ، ص74.

تحتها الأنهار) (طه : 76) و هم يرفلون (في سدر منضود وطلع منضود ، وظل ممدود وماء مسكوب)) الواقعة (28-31) ، (و يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون و مزاجه من تسنيم عين يشرب منها المقربون)(المطففين 78- 75)، لقد جمع الشاعر صورا لجنات عدن التي وردت في مواضع مختلفة من الكتاب العزيز وأصبحت واضحة الملامح في ذهن المسلم لتلقي بظلالها الوافرة على ظل ممدوحه الغامض فتوضحها.

ويرد في سياق أبيات القصيدة التي اقتطعنا منها البيت السابق بيت تخلله التناص غيرأنّ الشاعر استعمله في السياق مقابل للسياق القرآني مبالغة في تصوير ممدوحه يقول:[1]

عَذُبَتْ مَوَارِدُ جُودِهِ فَلَوْ أنَنِي أَوْرَدَتْهَا لَشَرِبْتُ شُرْبَ الهِيمِ

حيث ورد التناص في الشطر الثاني من البيت مستمدا من قوله تعالى واصفا شرب أصحاب المشئمة يوم القيامة بـــ (فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب الهيم)) الواقعة 55 .

فبينما مثل القرآن شرب أصحاب الحجيم بشرب الحيوانات الظامئة أفاد الشاعر من صورة نهم الشاربين وعدم ارتوائهم لسخونة مائه ليرسم صورة مضادة لكرم ممدوحه الشديد وعذوبة موارده التي تدفع حربديه للتزاحم والوصول إليه والانتهال منه بِنَهَم.

وحينما يرسم صورة لصفات جدته التي رثاها بقصيدة تفوح عاطفة يفيد من القرآن الكريم في تناص اتضحت فيه قدرته على الاقتباس الفني، حيث يقول: [2]

تَدَاعَتْ سَمَاءُ العِزِ فَانْفَطَرَتْ لَهَا وأَضْحَتْ نُجُومُ الفَخْرِ مُنْكَدِرَاتِ

فقد أفاد من سورتين كريمتين تحدثنا عن أهوال القيامة، هما سورة الانفطار وسورة التكوير، وتوزعت هذه الإفادة على شطري البيت، إذ وردت الأولى في قوله " وأضحت نجوم الفخر منكدرات " و من قول تعالى: (إذا الشمس كورت و إذا النجوم انكدرت)) (التكوير 1-2) مدخلا هذا التناص في بناء تصويري عماده

[1]- الديوان، ص74.
[2] - الديوان، ص42

الاستعارة المكنية، حيث ألقى بظلال أهوال يوم القيامة وما يصاحبها من قلب لموازين الأجرام السماوية على النص حيث قلب فقد جدته والحزن الذي استولى عليه موازين الحياة لديه مستخدما التجسيم ليملأ صورته حياة وحركة وفي مدحه أبا إسحاق حيث يقول: [1]

سيرِيإلى ملك رِضَى فِي مَالِهِ حَقٌّ لِسَائِلِهِ وَلِلْمَحْـــــــــــــــــرُومِ

القَائِدُ الخَيْلَ العِتَـــــــاقَ كَأَنَّهَا سِيدَانُ رَمْلٍ أَوْ نُجُومُ رُجُـــــــــــومِ

ففي البيتين تناصان أحدهما: في الشطر الثاني من البيت الأول إذ أفاد من قوله تعالى (في أموالهم حق للسائل والمحروم) الذاريات: 19، حيث وصف ابن شكيل ممدوحه بمعان إسلامية، فهو من المتقين الذي وصفهم الله تعالى : بالكرم في الدنيا والالتزام الديني إذ يجعلون في أموالهم حقوقاً للسائل والمحروم ، أما التناص الثاني فهو داخل في رسم صورة لخيل الخليفة الدائمة النشاط تشبهها بالنجوم والشهب التي جعلها الله رجوما للشياطين لقوله تعالى : (ولقد زينّا السماء الدُّنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) (الملك 5).

6-1-1-3- في السرد القرآني :يعتمد ابن شكيل في شعره إما سرد قرآني أو ما كان فيه ملمح من ذلك السرد وذلك خلال ألفاظ وردت أثناء قصائده ، فمن كان مطلعاً على الأسلوب القرآني علم أنها مشيرة إليه كقوله: [2]

إِنِي دِعَوْتُكَ لِلْأَمَانِي الغُرِ فِي ظُلْمِ الزّمَانِ السَوْءِ أَحْكِي يُونُسَا

إِنْ يَلْتَقِمُ نُونُ الحَوَادِثِ مَطْلَبِي فَامْدُدْ لَهُ يَقْطِينَ جُودِكَ مَلْبَسَا

إنّ هذين البيتين من قصيدة يرثي الشاعر فيها أستاذه القاضي أبا الحفص عمر بن عبد الله السلمي الذي أثر فيه تأثيراً كبيراً وساعدته مصاحبته له سبر أغوار على شعري فياض، فلما فقده فقد ركنا قويا طالما سنده لذا هو يناجيه في هذه المرثية ، لقد أبدى الشاعر قدرة كبيرة على توظيف السرد القصصي من خلال التلميح إلى مجريات قصة النبي يونس عليه السلام وربط ما حصل للشاعر مع أستاذه عند مناجاته له ورغبته في إجابته، بما حصل للنبي في محنته حيث دعا

[1] - الديوان ، ص76
[2] - الديوان ، ص60.

ربه فاستجاب له سبحانه وفرج كربه، حيث ذكر الألفاظ " "يونسا" ، "تلتقم"، "نون" ،"يقطين" كما ورد في قوله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبقى على الفلكِ المُشحونِ فَسَاهُم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم) الصافات 139-142، (وانبتنا عليه شجرة من يقطين)) الصافات) 146.

فألقت القصة القرآنية بظلالها على حالة الشاعر النفسية انذاك وهي تتوق للاستجابة على بعد تحقيقها.

ومن إشاراته التي تحمل في طياتها تناصا سرديا قوله مناجيا ربه سبحانه:[1]

مَوْلاَيَ إِنِّي عَلَيْك مُعْتَمِدُ فَجُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مَمْنُوحُ

وَنَجِنِي فَالذُّنُوبُ مُغْرِقَتِي وَأَنْتَ نَجَّيْتَ تَابِعِي نُوحِ

إنّ الشاعر في هذه القصيدة ذات النفس الصوفي يستحضر قصه سيدنا نوح فكان في تناص الشاعر انتصار السرد القرآني وظفه توظيفا فنيا فشبه جود الله تعالى بسفينه نوح، فهو الذي ينجيه من أمواج ذنوبه المتلاطمة كما نجت تلك السفينة تابعي النبي نوح عليه السلام وأنقذتهم من الهلاك.

6-1-1-4-في ذكر الأسماء:قد لا يذكر الشاعر سوى اسم معلوم لصور معينة، ونظراً لقداستها فقد وظف ابن شكيل التناص بذكر اسم لآيات معروفة بالحواميم التي ابتدأت بلفظ حم مثل : (غافر، فصلت....) في بناء تقريري ليرسم لنا صورة لبطله الذي يخاطبه بقوله :[2]

وَلَوْإِنْفَرَدْتَ مِنَ الفَوَارِسِ لِلْعِدَى لَهَزِمْتَهُمْ بِالآيِ مِنْ حَامِيمِ

اللهُ حِزْبُكَ لَا الخَمِيسُ وَأَهْلِهِ وَالنَصْرُ جُنْدُكَ لَيْسَ كُلَ شَتِيمِ

لقد وظف الشاعر المعاني الإسلامية والمفاهيم الدينية في رسم صورة للقائد المؤمن بربه، والموقن بنصره جنده المتسلحين (في الله حزبك)، والنصر جندك حيث أفاد من قوله تعالى عند المؤمنين (لا رضي الله عنه ورضوا عنده أولئك حزبُ اللهِ أَلا إنَّ حزب الله هم المفلحون) المجادلة 22

[1] - الديوان ص50

[2] - الديوان من 78

6-1-2-التناص مع الحديث الشريف:وهو قليل اذا قيس بالتناص القرآني كقوله في رثاء إحدى النساء المسنات: [1]

شَقَى النَفْسَ أَنْ لَمْ يَخْلُمنْهَا مَكَانُهَا وَلَمْ تَكُ مِثْلَ الأَعْظُمِ النَّخِراتِ

وَلَكِنَــهــَا أَبْقَتْ فُـــــرُوعاً كَثِيرَةً حَيَاةً لَهَا مِنْ بَعْدِ كُلِّ مَمَاتِ

إذْ استوحى المعنى من قول الرسول (صلى الله عليه سلام) (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله)، فالمرثية لن ينتهي ذكرها لأنها خلفت رجالاً صالحين حيث ادخل الشاعر تناصه في أسلوب تصويري مستثمراً الاستعارة المكنية في قوله (أبقت فروعاً كثيرة) تعبيرا عن الذرية الصالحة.

6-2- التناص الشعري: في رسم صوره الشعرية على ثقافته الشعرية التي تتشكل من قراءاته المتعددة ومحفوظة اللذين يصقلانموهبته الشعرية، فيخرج إبداعه مطعما بشذرات منها في الصياغة والتشكيل، وهذا ما وجد في شعره الذي حرص على التكامل بين العناصر المكونة للإبداع الشعري وبينها من عوالم. الشعراء السابقين وأولهم امرؤ القيس الذي تكررت صورته في شعره ورمزت إلى فحولة إبداعه الشعري، وسبقه إلى توظيف صور مجازية وطرق و معاني شهدت بإبداعه كما شهدت بإعجاب ابن شكيل به.[2]

وكان لحضوره في شعر ابن شكيل معان مميزة و وظيفة معينة لها أبعادها الدلالية التي تعطى لمضامين شعرابن شكيل لونا خاصا مستمداً ضوئه و شعاعه من عالم امرئ القيس جاءت هذه الأشعار في ثوب جديد يشهد له فيها بالتوليد والإبداع.[3]

وقد وظف ابن شكيل أحداث وقعت لأمرؤ القيس وأدخلها في تناص شعري ورد في قصيدته السينية وفيها إشارات واضحة لمعلقة امرئ القيس: [4]

---

[1]- الديوان، ص 41.

[2]-عهود عبد الواحد، الأنساق السياقية لشعر ابن شكيل، ص 68.

[3]- الديوان، ص 23 .

[4] - الديوان ،ص 57-58.

بَكَرَتْتَلُومُـــــــــــكَ فِي النَّدَى كَنْدِيَّةُ صَدَفِيَةٌ تُنْمِي السُكُونَ وَأَشْرَسَا

لَا تَحْسَـــــــــــبِي أَكْلَالمُرَارِ عَمِيدُنَا غَرْثَا وَلَكِنْ عِزّةً وَ تَغَطْرُسَـــــــا

أَذْهَلَتْ عَنْ عُقْبِي النّدَى إنَّ النَّدَى لَيَرُدُّ وحْشِيَّ المُنَى مُتَأَنـــــتَسَا

عَقَرَ المَطِيَّةِ لِلْـــــعَذَارَى رَبُـــــهَا فَأَبِيحَتَغْرا مِنْ عُنَيْزَةَأومَسَا

أمّا الشعراء الآخرون فقد بدا تأثر ابن شكيل بهم أقل من امرؤ القيس كحسان بن ثابت الذي لمحت له تناصا شعريا معه يقول ابن محاور الخيل: [1]

يَاَ خَيْلُ مَوْلَانَا أَبِينِي حَالَةٌ فَلَقَدْ خَلَطَتْ العُمْرُ بِالتَطْعِيمِ

أَمَعَ الأَعِنَّةُ تَمْرَحِينَ تَجَاذُبًا وَعَلَى الكَتِيبَةُ شِدَّةُ التَصمِيمِ

حيث أشار إلى قوة الممدوح وبطولته مستخدما الحوار مع الخيل أدخله في تشخيص في قوله" أبيني حالة "أما بيت حسان فهو: [2]

يُبَارِينَ الأَعِنَةَ مُصْـــــــــتغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظُمَّاءُ

حيث أفاد ابن شكيل من مزاوجة حسان بين قوة الخيل و جمالها في تباري الأعنة مصغيات " وفي الوقت ذاته على أكتافها الأسل الظماء.

كما يوجد تناص آخر مع المتنبي في قول ابن شكيل في القصيدة ذاتها:[3]

قُلْ لِلّذِي شَادَ النَّسِيبُ مُقَدِّمًا مَدْحُ الأَمِيرِأَحَقُ بِالتَقْدِيمِ

حيث أفاد من قول المتنبي: [4]

إذَا كَانَ مَدْحُ بِالنَسِيبِ المُقَدَمُ أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

ولا تخفى إفادة ابن شكيل من المتنبي في تقديم النسيب في قصيدة المدح.

---

[1] - الديوان، ص77.

[2] - حسان بن ثابت، الديوان تح وليد عرفات معهد النزاعات الشرقية والافريقية لندن ج 1، 1971،ص17.

[3]-الديوان ،ص75.

[4] - التبريزي، الموضح في شعر ابي الطيب المتنبي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ج 1، ط1، 2004 ، ص 498 .

II. البنيةالإيقاعية:

الشعر تعبير صوتي عن تفاعل الذات مع واقعها و الإيقاع خاصية جوهرية فيه، فبفضله يتحقق التوازن في كيان القصيدة حيث يدخل كل عناصرها " في كون إيقاعي نغمي شعريبعد أن ذابالإيقاعفيها ليتجسد خلقا جديدا متمازجا بالفكر واللغة والرموزوالصور والعواطف،تمازج الروح بالجسد"[1] فيصبح لكل عنصر من عناصرها إيقاعه الخاص الذي يدورفي فلكالإيقاع العام للقصيدة، بأخذ منه ليعطيه ، ويصبح لكل قصيدة إيقاعها الخاصالمنبثق من تجربة شعرية خاصة.

مفهوم الإيقاع:

أ-لغة:

من الاستعمالات الواردة في مادة(وقع) في بعض المعاجم العربية" وقع، يقع وقعا ووقوعا، سقط ، ويقال سمعت لحوافر الدواب وقعاً ووقوعاً، ومواقع الغيث ساقطةّ، ويقال سمعت وقع المطر وهوشدة ضربه الأرضإذا وبل .. والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهوأن يوقع الألحان ويبنيها" [2]

ب - اصطلاحا:

بمعنى الجريان والتدفق وهو التواتر المتتابع بين حالتي الصوت والصمت أو النوروالظلام أو الحركة والسكون أو القوة والضعف أو الضغط واللين..إلخ ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشكل الفني.

أما في الشعر"فالإيقاع مركب موسيقي يشتمل على أوزان غير متساوية وهو الجانب الموسيقي في الشعر و الوزن صيغة آلية والإيقاع إبداع جمالي."[3]

والإيقاع في الشعر خاصية جوهرية فيه ، فهو الذي يبعث فيه الحياة ويبعده عن الرتابة والملل، وهو الإطار العام الذي ينضوي تحته الوزن ويمكننا القول أن الوزن" مجرد صورة خاصة من صور الإيقاع من شأنها أن توجد علاقة اشد وثوقابين الكلمات"[4] ،" فالوزن يرتبط بالصوت من حيث هو فتحة أو ضمة أو لام

---

[1]- علوي هاشمي، فلسفة الايقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2006، ص25.

[2]- اللسان، م3،ص402-408.

[3] - المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية الهيئة العامة للشؤون الأميرية، القاهرة، 1983، ص29.

[4] - ريتشارد، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، تر، محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: ط2005،1، ص194.

أو باء... أما الإيقاع فيربط بالصوت من حيث خصائصه السياقية كالدرجة والمدى والنبر والتردد...الخ "[1]

سنحاول في هذا الجزء دراسة الظاهرة الإيقاعية من حيث أبعادها الدلالية في شعرابن شكيل: قصيدة رثاء أخيه ابن الحسن رحمة الله عليه أنموذجا محاولين رصد إيقاع الذات المبدعة وهي تعيش تجربتها الشعرية، وقد تمت الدراسة وفق مستويين:

- الإيقاع الخارجي: متمثلا في الوزن والقافية وما يتعلق بها.
- الإيقاع الداخلي: المتمثل في الطباق والجناس.

1- الإيقاع الخارجي:

" وهو الشكل الخارجيللقصيدة قوامه الوزنوالقافية، والذي يقاس به الشعر ويضفيعلى الكلام رونقا وجمالا ويحرك النفس ويثير فيها النشوة والطرب."[2]

" فالشعرأساسا و شكلا كلام موزون مقفى" [3] وبالتالي فالإيقاع الخارجي هو جوهر الشعر ومن العناصر الهامة التي أسهمت في بناءه.

1-1- الوزن:

يمثل الوزن الإطار الخارجي الذي يحافظ على نظام القصيدة " وهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت ،و قد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية"[4]، وهو حسب ابن رشيق القيرواني من أعظم أركان حد الشعر و أولاها به خصوصية و هو مشتمل على القافية وجالب لها بالضرورة" [5]، وقد أدرك القدماء أهمية الوزن فأولوه عناية خاصة ، " فمن خلال الوزن يستطيع الشاعر نقل ما يحس به من اللذة والألم إلى المتلقي وبه تفصح العبارات بما فيها من معاني

---

[1]- ينظر: محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية الأصول و التجليات، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة،ط 2006، ص 424

[2] - ينظر: موفق فاهم الخاتومي، دلالة الإيقاع وإيقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث،ص31.

[3] - محمد صالح الصالح، الأسلوبية الصوتية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: مصر، ط2002، ص48.

[4]-رمضان الصباغ، في نقد الشعر المعاصر، دراسة جمالية دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002 ، ص 171.

[5] -العمدة، ج1، ص 237.

ربما لا تبوح بها دون الأوزان، وعليه الوزن قيمة تعبيرية عن الحالة النفسية و قيمة تأثيرية منبثقة عنها وقيمة جمالية."[1]

ويمكن تعريفه بكونه كمية صوتية تتكرر بشيء من الاختلاط والتشابه كما أنّ هناك علاقة بين الحروف والحركات فالحروف تختلف والحركاتتتكررمثل رضى بقضاء / حبيب) بالإضافةإلى ذلكهناك علاقة بين القانون والتطبيق أو كما يقولون العلاقة بين خلق القاعدة في الوزن ثم خرقها من هذا الخرقللقواعد الذي يرتكبه الشاعر القبض وحذف الخامس والسابع الساكنين أي حذفنونفعولنأو ياء مفاعيلن.

أما من ناحية الوزن فوزن القصيدة هو البحر الطويل الذي هو فعولن مفاعلين(أربع مرات) ومعلوم أن البحر الطويل يعتبرأطول بحور الشعر العربي، من حيث الكمية الصوتية وهذا ما يضفي عليهميزة خاصة بالنسبة لسائر البحور العروضية الأخرى.

وهنا يمكن القول أن الإيقاع الشعري لا يكتفي بذلك التردد الكمي فحسب فمن أجل أن تميز التفاعيل بعضها عن بعض لابد من تلك الظاهرة الصوتية التي تتردد بين تفعيلة وأخرى ، وعليه فالوزن عنده يتضمن الإيقاع والمصطلحات ولا يفهم أحدهما دون الآخر استنادا لذلك نقول أنّ الإيقاع في قصيدة الشاعر كان هو العنصر الذي منحها جمالية فنية ميزتها بذلك عما سواها فضلاً عن أنّه يتخلل البنية الإيقاعية التي تشكل هذا الإبداع، هذا معناه أنّ للإيقاع دور جمالي تتجلى فيه هذه المعاني ، وتوصف به، وتبدو اكثر اتساقاً مع دلالته، ذلك أنّ الإيقاع يفصح عن المعنى حينا و يجاريه حينا آخر ويماثله في أحيان كثيرة.

ابتدأ أول حروف قصيدته بالصوت المخفوض (رضى)فكان ذلك بمثابة الإعلان عن هوية المنظومة الإيقاعية عبر هذا النص الشعري العجيب ويزداد بورود خفض واحد على الأقل في كل الملفوظة التي يتكون ويتألف منها البيت الأول والثاني في قصيدته:[2]

رِضَى بِقَضَاءِ الله فَهُوَ مُصِيبُ وَصَبْراً علَى الأَحْدَاثِ فَهِيَ تَنُوبُ

خَلِيلِي قَدْ واَرَى التُّرَابُ أَحِبَتِي فَلَمْ يَبْقَ لِي فَوْقَ التُّرَابِ حَبِيب

[1]-حليمة لحمر، حفيظة روابنية، الايقاع و الدلالة في شعر ابي العلاء المعري، قصيدة "فقدت في أيامك العلماء"- أنموذجاً- مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، م13،ع1، 2021، ص1773.

[2]- الديوان، ص35.

إن هذه الأصوات المنخفضة و المتلاحقة والمتعانقة، والمتضافرة من بداية البيت إلى نهايته تشكل نظاماً صوتيا تقوم جماليته على ما فيه من ترابط من جهة وعلى سياق الحال من جهة أخرى.

1-2-القافية:

إنّ الحديث عن الوزن في الشعر قديما لا يمكن أن يتصور بمعزل عن القافية باعتبارها بنية إيقاعية لا تقل أهمية عن الوزن، وقد أدرك النقاد العرب القدامى تلك الحقيقة، حيث جعلوا القافية عنصراً جوهريا في الشعر ، فلا شك أن تضافرها مع الوزن الشعري"يولّد مجالا موسيقيا يعمق المعاني المقصودة بالتخييل."[1]

فللقافية وظيفتان: وظيفة إيقاعية بما توفره من تكرار المقطع الصوتي نفسه بمعظم أصواته في كل أبيات القصيدة ووظيفة دلالية حيث تتسع وظيفتها لتعمل على الربط بين أجزاء القصيدة وجعلها كيانا مؤسسا على تلاحم الوحدات المكونة،[2] وعلى هذا فإنّ القافية في جوهرها وفي ضوء ارتباطها التكويني بالوزن كمبدأ مقولي للتشكيل الشعري العربي ما هي إلا علامة على أن التشكيل الإيقاعي قد اكتمل مرحليا وعليه فإنّها ليست علامة على انتهاء البيت فقط بل على ابتداء البيتالذي يليه أيضا.[3]

جاءت قافية القصيدة من المتواتر وهي القافية التي يقع المتحرك فيها بين ساكنين (حبيب) ـحية بمعاني الازمة التي تعانيها ذات الشاعر بعد فراقه لأخيه فالشاعر 0/0/

يقف موقف المؤبن والمعظم لمرثيه، فهو نعم الرجال حيا وميتا دفنه عظيم الفخر والشرف فقد صار ضريح يقدس لمن مر به، وصارت روحه تهيم في ملكوت السماوات والأرض ثم يهب الشاعر في دعائه للفقيد وهو يرجو أن يتغمده الله برحمته في الدارين.

والقافية مطلقة حرف رويها الباء و هو حرف جهوري إحتكالي و يتلاءم مع الحالة النفسية للشاعر الذي يصرخ من أعماقه لفراق أخيه، فحرف الروي الباء

---

[1] - ينظر: الأخضر جمعي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1999، ص219-224.

[2]- ينظر: رومان جاكبسون، القضايا الشعرية، تر، محمد الولي ومبارك حنون دار توبقال للنشر،المغرب، ط 1 ، 1998، ص 46.

[3] - هلال الجهاد، جمالية الشعر العربي، دراسة فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،2007، ص109.

غني بالرنين لمزاياه التي يتمتع بها في أنه شديد الانفجار يجد الشاعر فيه متنفسا للموقف النفسي العنيف في الحال التي برعت فيها إيصال صوته.

وورد حرف الروي "الباء" مُنْسَاقا في خدمة البناء الموسيقي للقصيدة المطبوعة بطابع انفعال الشاعر، فعند النطق به تنطبق الشفتان انطباقا محكما وبعد إنفصالهما فجائيا ينفجر النفس المحبوس محدثا صوتا إنفجاريا مدويا وهذا الأمر يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر.

2- الإيقاع الداخلي:

يرتبط الإيقاع الداخلي بمجموعة من الأصوات المتجانسة والمتناغمة والمنسجمة التي تساهمفي بناء القصيدة إنها تحمل شحنات عاطفية تؤثر في المتلقي،"فالإيقاع الداخلي هووحدة نغمية تكرر على نحو محدد في الكلام أو بيت شعري."[1]

" ونجد أنّ للإيقاع الداخلي دوراً حيث يمنح القصيدة إنسانية مميزة تميز النص."[2]

سنحاول أن نبرز أهم مظاهر الإيقاع الداخلي من طباق وجناس.

2-1 - الطباق:

للطباق اثر كبيرفي تحديد المعنى وتجليته، فالجمع بين الأضداد يحقق وضوحا ودقة للشيء وللفكرة المراد توضيحها وقد ورد الطباق في قصيدة ابن شكيل في قوله:[3]

خَلِيلَي قَدْ وَارَى التُّرابَ أَحِبَتِي فَلَمْ يَبْقَ لِي فَوْقَ التُّرَابِ حَبِيبُ
تَنَاذِرُه ُالخذِّلانُ بَأْسَا فَأَصْبَحُوا لَهُم جِيئَةٌ منْ حَوْلَهِ وَذَهُـــوبُ
وَإِلَّا فَعْيِنِي إِنْ أَبَى الغَيْثُ مُزْنَةٌ يُدَرُ شَمَالاً صوْبِهَا وَجَـــنُوبُ
كَأَنَّ إِطِلَاُع الشُّهُبِ بيْنَ مَحَاجِرِي فَمِنْ نَاظِرِي تَبْدُو وَفِيه تَغِيبُ

ويقول في أبيات أخرى:[4]

أَقَامَ عَلَيَ فِي ثَرَاه مُغيَـــــــبا وَللبَدْرِ مَنْ بَعْدِ الطُلوعِ غُروبُ
أخِي سَلَبْتَنِيَهُ الخُطُوبُ مَشيحَةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَـــالِبُ وَسَلِيبُ
رُزِيْناهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِيه مَطْعَنُ وَلَمْ يَكُ رَاجِي الخَيْرَ مِنْهُ يَخِيبُ

---

[1] - سامية راجح، أسلوبية القصيدة الحداثية في شعر عبد الله حمادي، ص81.

[2] - رابح بن خوية في البنية الضوئية والإيقاعية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، أربد الأردن،ط1، 2013، ص 88.

[3]- الديوان، ص 35.

[4] - الديوان،ص36.

لقدأسهمت التشكيلات التجميعية المتضادة والمتلاحقة في تعضيد الدلالة التيينتجها طباق الإيجابيبينالألفاظ (وارى التراب/ فوق التراب) (جيئة / ذهوب) (شمال / جنوب) (تبدو / تغيب)(طلوع / غروب)(سالب / سليب)(راجي الخير / يخيب)، نسق تعبيري يقف في مواجهة النقيض على سبيل المعارضة والتناقض لإيصال المعنى والكشف عن إيحاءاته، ولقد تجاوز الطباق النظرة التجزيئية، التي تقصره على التزويق الشكلي ليحدث فعالية في النص بحركة ذهنية يمكن وصفها بأنها:" تحطيم لكيانات الإدراك الحسي المعتاد وتصديع لمقولات الفهم المنطقي، وتنمية بواسطة الخيال لحركة تتجاوز بنيتها قانون الإتجاه الواحد"،[1] فيكون تأثيرها في ذهن المتلقي أبلغ.

فعند تكرار كلمة التراب مرتين، وقد رمز الشاعر بها إلى الموت والحياة وأدخله في نسق التضاد(الطباق) فبالأمس أحبته فوق التراب أحياء واليوم قد واراهم الثرى فأصبحوا تحته أموات حتى لم يبق للشاعر فوقه حبيب، وكان قاصدا في تكرارها إظهار المقارنة بين الماضي والحاضر.

2-2- الجناس:

يطالعنا في القصيدة الجناس غير التام بين كلمتي(قريب وغريب)، كما تجده بين الكلمتين (نصيب/ صليب)، عمل الجناس هنا على توسيع المعنى فإلى جانب المتعة الفنية التي يحسها المتلقي ترسخ الصورة التي ساهم الجناس في تشكيل المعنى في ذهنه فهو بهذا عمل مخاتلة المتلقي وإثارته ذهنيا لتقبل المعنى الذيبثته الذات الشاعرة.

كما نجد في الكلمتين (ربيب/شبيب) ساهم الجناس هنا في تنويع الإيقاع، إذ أخرج البيت من إطراده وسيره على نمط نغمي واحد، كما أحدث فيه إنزياحا مقصودا ساعد على تنويع الموسيقى الداخلية للبيت.[2]

كما ورد الجناس الاشتقاقي في(بكينا والبكا)، (وصبرنا / الصبور)تركيزا على معنيي البكاء والصبر المتلازمينفأراد ابن شكيل اظهار قوته، إذ لم يبك جزعا إنما بكى إبتغاء أجر الله فصبر طاعة لخالقه.

---

[1]- شكري الطوالمي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2008، ص207.

[2] - علاء حسين عليوي البدراني ، فاعلية الإيقاع في التصوير الشعري أطروحة دكتوراه الجامعة العراقية، كلية الآداب قسم اللغة العربية ،2012، ص325.

خاتــمة

خاتمةّ:

بعد دراستنا لديوان أحد أهم شعراء الأندلس ووقوفنا على أهم السّمات الجمالية البارزة في قصائده سجلنا بعض النتائج:

1- تشكل الخطاب الشعري عند ابن شكيل من عناصر الطبيعة من شقيها الصامت والمتحرك، فقد استهوته مناظر الرياض الخلابة بما تحويه من ظلال وجداول منسابة وجبال خضراء وسهول مختلفة الألوان.
2- كان للتصوف حضور قويّ في ديوان الشاعر، فقد حوى الديوان العديد من الألفاظ الصوفية والصور المشكلة من هذا المعجم فضلا عن الإسقاطات الدينية التي استخدمها الشاعر ليضفي قداسة على النص الشعري.
3- استحياء الشاعر المرجعية الدينية في تشكيل صوره الشعرية المعتمدة في ذلك على النص القرآني بما فيه من آيات تعبر عن مشاهد القيامة وصور الجنة والعبادات والشعائر الدينية المختلفة.
4- إن الشعر تشكيل، فهو كالرسم يتحقق عن طريق ترابط وتوافق عناصره التي تمنحه جمالا.
5- اعتمد الشاعر في هذا الديوان على الانزياح التركيبي وقد وظفه الشاعر توظيفا مناسبا لتجاربه، للإيحاء بعواطفه ولتصوير بعض ما يعانيه من هموم وانشغالات من خلال توظيفه للتكرار والإجمال والتفصيل والمبالغة وحسن التعليل والتضاد .
6- كان للتناص حضورا فعالا وقويا بأنواعه المختلفة وبخاصة الديني فقد أخذ الشاعر منه لبناء شعره مما أضفى على قصائده ثراء وعمقا وتشكيلا ساحرا متميزا.
7- مثّل الإيقاع عنصرا هاما في بناء قصائد الديوان بنوعيه: الإيقاع الخارجي والمتمثل في الوزن والقافية والإيقاع الداخلي والمتمثل في الطباق والجناس ،هذا الأخير الذي لم يستخدم من باب الرونق الصوتي فحسب بل وُظف كأداة لإنتاج الدلالة.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها نأمل أن تكون مثمرة، ونسأل الله التوفيق والسداد إنّه نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع

▪ فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن آبار البلنسي، تحفة القادم ،تح احسان عباس ،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط1 ،ج1 ،1986.
- ابن شكيل الديوان ، تق ، تح: حياة قارة ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،ط1 ، 1998 .
- محمد ابن منظور, لسان العرب،دار صادر،بيروت،لبنان ،الطبعة السادسة،1997.
- أبو القاسم الزمخشري, أساس البلاغة، ،دار صادر بيروت ، 1979،ج2 .
- أبو هلال العسكري،" كتاب الصناعتين" -الكتابة والشعر-، تح محمد أمين الخانجي، القاهرة ط2.
- الأخضر جمعي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1999.
- ألبار عبد القادر ، الانزياح في محوري التركيب و الاستبدال، مجلة الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح ، الجزائر ع 9 ،2010 .
- التبريزي، الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ج4، ط1، 2004 .
- حسان بن ثابت، الديوان، تح وليد عرفات، معهد النزاعات الشرقية والافريقية لندن ج 1، 1971.
- حليم فهد عبود، أسلوب التضاد في شعر كاظم الأزري ، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ع 2، 2023.
- حليمة لحمر، حفيظة روابنية، الايقاع و الدلالة في شعر ابي العلاء المعري، قصيدة "فقدت في أيامك العلماء"- أنموذجاً- مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، م13،ع1، 2021.
- خليل الفراهيدي ، معجم العين ،دار الكتب العلمية بيروت ج4، ط1، 2003.
- رابح بن خوية في البنية الضوئية والإيقاعية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، أربد الأردن،ط1، 2013.

- الرازي، نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز، تح ابراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان:1985.
- الرعيني ، برنامج شيوخ الرعيني ، تح ابراهيم شبوح ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ،1962.
- رمضان الصباغ، في نقد الشعر المعاصر، دراسة جمالية دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002 .
- رومان جاكبسون، القضايا الشعرية، تر، محمد الولي ومبارك حنون دار توبقال للنشر،المغرب، ط 1 ، 1998.
- ريتشارد، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، تر محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،2005.
- سامية راجح، أسلوبية القصيدة الحداثية في شعر عبد الله حمادي، جامعة باتنة، 2020.
- شكري الطوالمي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2008.
- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق، القاهرة،ط1، 1998.
- عبد الرحمن بن أحمد السبت ،ظاهرة الإنزياح في شعر البارودي جامعة المجمعة السعودية،مجلة الأداب و العلوم الإنسانية ع86، 2018 .
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح هريتز مطبعة وزارة المعارف استانبول أعادت طبعه مكتبة المنى بغداد ط 2، 1979 .
- عصام قصبجي وأحمد محمد ويس، وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ,مجلة بحوث جامعة حلب, سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية،ع28، 1995.
- علاء حسين عليوي البدراني ، فاعلية الإيقاع في التصوير الشعري أطروحة دكتوراه الجامعة العراقية، كلية الآداب قسم اللغة العربية ،2012.
- علوي هاشمي، فلسفة الايقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2006.
- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصر،ج3 1914.

- عناد غزوان، التحليل النقدي والجمال الأدبية، دار آفاق عربية بغداد ط 1، 1985.
- عهود عبد الواحد ،انساق السياقية عند ابن شكيل الاندلسي – دراسة بلاغية- كلية واسط للعلوم جامعة بغداد ع9 .
- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 ،2007.
- لعرابي خديجة، دلالة التكرار في نماذج من الشعر الأندلسي مجلة الدراسات، جامعة طاهري محمد الجزائر, المجلد 08 , العدد 01 ,2019.
- مجدي وهبي، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ،مكتبة لبنان بيروت 1974.
- محمد أحمد امين محمد، شعر ابن شكيل الاندلسي، دراسة موضوعية، مجلة الدراسات العربية، كليه دار العلوم، جامعة المنيا ، ع 47 . مج1 ،2023.
- محمد صالح الصالح، الأسلوبية الصوتية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: مصر، ط 2002.
- محمد عبد المطلب،البلاغة والأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون مصر ، ط1 ،1994
- محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية الأصول و التجليات، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة،ط 2006.
- المدني ،أنوار الربيع، تح شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان ،النجف الأشرف ،ط 1969 .
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية الهيئة العامة للشؤون الأميرية، القاهرة، 1983.
- المقري ،نفح الطبيب من غضن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت،مج 1 ، 1900 .
- موفق فاهم الخاتومي، دلالة الإيقاع وإيقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2004.
- هلال الجهاد، جمالية الشعر العربي، دراسة فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 ،2007 .

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
بسملة	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب
مدخـــــل	
1- الشاعر وشعره	08
2- شخصية الشاعر الأدبية والعلمية:	08
3- ثقافته	10
الفصل الأول: أغراض ابن شكيل الشعرية	
تمهيد	13
1- المدح	14
2- الرثاء	15
3- التصوف	17
4- الزهد	17
5- الهجاء	18
6- الوصف	19
7- ظاهرةالتشيع	20
الفصل الثاني: شعر ابن شكيل مقاربة أسلوبية	
تمهيد	23
مفهوم الانزياح	23
I. الانزياح التركيبي	25
1- التكرار	25
1-1- التكرار اللفظي	26
1-2- التكرار البياني	26
1-3- تكرار تلاحم المعاني	29
2- الإجمال والتفصيل	30
3- المبالغة	33
4- حسن التعليل	36
5- التضاد	38
5-1- الرثاء	38

فهرس المحتويات

2-5- المدح	39
3-5- الوصف	42
6- التناص	43
1-6- التناص الديني	44
1-1-6- التناص القرآني	45
1-1-1-6- في إطار الإجمال والتفصيل	46
2-1-1-6- في الوصف	47
3-1-1-6- في السرد القرآني	48
4-1-1-6- في ذكر الأسماء	49
2-1-6- التناص مع الحديث الشريف	49
2-6- التناص الشعري	50
II. البنية الإيقاعية	50
1- الإيقاع الخارجي	52
1-1- الوزن	52
2-1- القافية	54
2- الإيقاع الداخلي	55
1-2- الطباق	55
2-2- الجناس	56
خاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	61 - 63
فهرس	
ملخص	

ملخص البحث:

ظلت شمس الإسلام ساطعة في الأندلس نحو ثمانية قرون استطاع خلالها المسلمون أن يشيدوا صرح حضارة فريدة امتزجت فيها مؤثرات الشرق بثمرات الغرب وتميزت بالابتكار والتجديد في كثير من المجالات لاسيما المجال الأدبي،الذي أعطى للأدب العربي مذاقا عطريا رائجا ومن أمثلة الأعلام في المجال الأدبي الشاعر"أحمد بن أحمد بن يعيش بن علي بن شكيل الصدفي"أحد الأعلام الشعرية في عصر دولة الموحدين بالأندلس في تلك الفترة، ومن ناحية أخرى فهو أحد أعلام الشعر الصوفي أيضا.

والمذكرة التي نحن بصددها تتعرض للشاعر الأندلسي وأمثلة شعرية عن الموضوعات التي انتهجها في شعره والوقوف على بعض الفنيات التي تميز بها ابن شكيل الأندلسي مقاربة أسلوبية في الكشف عن الجماليات التي وظفها الشاعر في خطابه الشعري، ومدخلا لدراسة أسلوبية قسمناها إلى مستويين:من الناحية اللغوية وتمثلت في لغة الشاعر من تكرار وتركيب وتناص، والمستوى الإيقاعي و الموسيقي من قافية وزن ومحسنات لفظية ومعنوية.

الكلمات المفتاحية:ابن شكيل. خطاب. جماليات. شعر، أسلوبية ، الأندلس.

Research Summary:

The sun of Islam remained shining in Andalusia for about eight centuries, during which Muslims were able to build the edifice of a unique civilization in which the influences of the East mixed with the fruits of the West and which was characterized by innovation and innovation in many fields, especially the literary field, which gave Arab literature a popular aromatic taste. Examples of notables in the literary field are the poet Ahmed bin Ahmed bin Yaish bin Ali bin Shakeel Al-Sadafi is one of the poetic figures of the Almohad state in Andalusia in that period, and on the other hand, he is one of the figures of Sufi poetry as well.

The memorandum we are considering deals with the Andalusian poet and poetic examples of the topics he used in his poetry, and examining some of the techniques that distinguished Ibn Shakil Al-Andalusi, a stylistic comparison in revealing the aesthetics that the poet employed in his poetic speech ,Through a stylistic study, we divided it into two levels from a linguistic standpoint: the poet’s language of repetition, structure, intertextuality, and the rhythmic level, or the musical level of rhyme, meter, and verbal and moral enhancements.

Keywords: Ibn Shakil . Letter.aesthetics. poetry. Stylistics.